ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 36 - العدد 1026 - الجمعة 27 ربيع الثاني 1424 هـ - الموافق 27 يونيو 2003

أولوا العزم من الرسل

المؤمن إنسان يقظ

دم الشماتة بالمسلمين

صفات الداعية

صلاة الجمعة ... ومصير حضارة

أبو الحسن الأشعري وعقيدته السلفية 4/2

ولقد كان لشيوع التصوف في هذا العصر أثر في شخصية أبي الحسن الأشعري، تلك الفترة المليئة بتضارب المفاهيم المتصادمة في العقيدة، وكانت العقيدة الصحيحة تواجه خطورة تتجسم في موقف طغيان العقليات ومن المعلوم أن الجبائي المعتزلي كان من أكبر المدافعين عن المذهب الاعتزالي وهو شيخ أبي الحسن الأشعري.

ولقد تأثر أبو الحسن الأشعري بحياة شيخه وكان معجبا بعلمه وقوة دفاعه عن العقيدة الاعتزالية وسبب هذا التأثر بالجبائي الذي حصل لأبي الحسن الأشعري هو أن الجبائي تزوج بوالدة أبي الحسن بعد وفاة والده في سن مبكرة من حياة أبي الحسن. وكان شيخه ينيبه في المناظرات وإعطاء الدروس لما تيقن هذا الاعتزالي من كفاءة أبي الحسن واتساع علمه وحسن إقناعه في المناظرات، لكن بدء تطور آخر وتحول يظهر فجأة في حياة أبي الحسن الأشعري كان ختم به مشواره العقدي وهو تحوله عن الاعتزال إلى عقيدة السلف الصالح والدفاع عنها.

وعن أسباب هذا التحول ورد أن أبا الحسن الأشعري قد مر بأزمة نفسية انتهت بإقرار إعلان هذا التحول حتى أن البعض يقول إن هذه الأزمة استمرت فترة تقرب من عشرين عاما.

(تتمة ص : 2)

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة

كونوا جيل عُبَّاد الرحمان

في كل توجيه رباني سيرفع أنواره في هذا الركن الإسلامي لجريدة الميثاق في هذه الظروف.

نقف اليوم مع أيات كريمة من القرآن من سورة الفرقان تبين لنا النماذج السامية لأجيال الشباب المسلم، شباب الجنة عُبَّاد الرحمان كما سماهم الله بنفسه، وأعطاهم إسما من أسمائه الخاصة به 'الرحمان' إن جيل عباد الرحمان يكوّن النموذج الأسمى للتربية الإسلامية إذا طبق المواصفات الإلاهية في سلوكه وأخلاقه في أقواله وأفعاله حتى يصير بذلك إماما للمتقين.

و جيل عباد الرحمان نجد فيه مجموعة من الصفات بعضها يهدف إلى إثبات حالة التخلّي، وهي الأولى والبعض الآخر يهدف إلى إثبات حالة التحلي، فيبدأ المرء بالتطهر من كل السلوكات السلبية ويتخلى عنها بكيفية شاملة، ويلبس في محلها كل مايقرب إلى الله من قول وعمل تبينها اثنى عشر أية من سورة الفرقان. وضعت قانونا إلاهيا لمواصفات عباد الرحمن بما يجب التخلي عنه وبما يجب التحلي به، ونرى بذلك شروط الاندماج في جانب عباد الرحمان، من شباب وشيوخ في هذه الأمة.

أ- التخلي عن مجموعة من السلوكات السلبية

أ- التبذير أو التقتير في الإنفاق فلا انفاق فوق الحاجة ولابخل على من يجب، وهذا مانصت عليه الآية الكريمة "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولاتبسطها كل البسط" وفي الحديث 'من فقه الرجل قصده في معيشته'.

ب - الشرك مع الله، فطهارة العقيدة تنطلق من التخلي عن الشرك بالله، سئل رسول الله (ص): أي الذنب أكبر قال: 'أن تجعل لله أندادا وهو خلقك'

ج - الاعتداء على الغير، بقتل النفس أو مادونها لأن الفرض هو التخلي عن الروح العدوانية بأي صورة كانت، وكل من حمل نفسا شريرة ضد غيره لن يكون أبدا من عباد الرحمان، ولكنه سيصنف نفسه من عباد الشيطان.

ح - التصرف الرابع الذي يجب التخلي عنه هو الزنى وفعل المنكرات والانحلال الخلقي وإشاعة الفحشاء بين الناس، قال رسول الله (ص) لأصحابه ماتقولون في الزنا؟ قالوا: حرمه الله ورسوله وهو حرام إلى يوم القيامة.

هـ - عدم الكذب عمدا على الغير، الذي هو الزور، فكل باطل تعطيه لغيرك وكل حق ترفض الشهادة به للغير تعتبر فيه فاعلا للزور وقائلا به، يقول (ص): 'ألا أخبركم بأكبر الكبائر... وكان متكئا فجلس وقال 'ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور' فشهادة الزور وحضور الزور وسماع الزور، والتوقيع على الزور كل ذلك يبعد المؤمن عن صفات عباده الرحمان.

و- الامتناع عن حضور مجالس السوء، أو مخالطة أهل اللغو والفجور، بل حتى إذا سمع المرء أصوات مجالسهم أسرع خطاه حتى يبقي سمعه نقيا طاهرا.

2- بعد التخلي عن هذه السلبيات تشرع في التحلي بمجموعة من الفضائل والخصال الحميدة التي تقربك إلى الأخيار من عباد الله وتصل بك إلى درجة إمامة المتقين.

- أن يكون مشيك على الأرض في سكينة ووقار، بدون استكبار ولا تصنع ولارياء، مطبقا قول الله تعالى "ولا تمش في الأرض مرحا"

ومشيتك هذه ستزيدك هيبة وتقديرا وتجعل منك النموذج المقتدى به.

- اتخاذ العفو والصفح من السمات الأصلية في السلوك، فخطاب الجهال لن يكون إلا سفها ولغوا يجب الاعراض عنه، قال سعيد بن جبير: ردوا معروفا في القول، فرد أهل الله لن يكون إلا لله.

- أن يعطي لربه جزاءا من ليله بالسجود والقيام وهو في خلوته يعبده وحده يناجيه يخاطبه يعيش في حضرته يتجاوز بذلك مرحلة العبودية إلى مرحلة العبادية قال، الله عز وجل يقول "أمن هو قانت أناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه".

- أن يكون تغليب الخوف على الرجاء هو الشعار الذي يتعامل به مع الله وإذا كان الخوف من عذاب النار ملازما للإنسان كان سلوكه طبقا لذلك وكانت تصرفاته كلها لله وفي الله خيرا وصلاحا وفلاحا ونجاحا.

- ومن الوثائق التي يجب أن يقدمها الإنسان لله عز وجل ليسجله في فاتحة عباد الرحمان أن يكون من الذين إذا سمعوا توجيه ربهم قبلوه وعقلوه وانتفعوا به في علمهم وعملوا به في سلوكهم فكانت حياتهم بالقرآن وليسوا كالأصم والأعمى.

- وأخيرا يطلب المؤمن من أهل الرحمان أن يشرك الله معه أزواجه وذريته في هذه الصفات لتقر بهم عيناه ويكونوا من عباد الرحمان حتى يصل الكل إلى درجة إمامة المتقين ويجزون الغرفة في الجنة بما صبروا ويتلقون السلام من الملائكة قائلين لهم 'سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.'

هذه صفات جيل عباد الرحمان، التي نريد أن نكون شبابنا على العمل من أجل الوصول إلى مراتبهم ليكونوا أداة بناء وصلاح، والله من وراء القصد.

م.ر.

نماذج من الرعيل الأول لعلماء القرويين

■ تحدثنا في الحلقة السابقة عن أبي إسحاق إبراهيم ابن فرتون الفاسي، وذكرنا مشيخته العلمية، ولاحظنا عنايته بالحديث النبوي، وشغفه بالرحلة في طلبه من كبار المتخصصين فيه من علماء الأندلس والمغرب.

وفي هذه الحلقة نتحدث عن عالم جوال، شغوف بالرحلة العلمية، تنقل في كثير من البلاد، وحط رحاله ببغداد، وأطال الإقامة بها، حتى نسب إليها فقيل فيه البغدادي وهو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام الخزرجي، قال عنه ابن الزبير في صلة الصلة: الخزرجي الجياني، . نسبة إلى جيان بالأندلس . بن جامع، البغدادي، نسب إلى بغداد لطول سكناه بها، وإليه ينسب مسجد البغدادي بجيان، روى ببلده عن مشيخته، وبقرطبة عن أبي عبد الله بن فرج، وأبي علي الغساني، وأبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد هشام بن العواد، رحل إلى المشرق فسمع بالإسكندرية، وبمكة المشرفة، وبمصر والشام، والموصل، ثم قفل إلى المغرب في حدود سنة:515هـ روى عنه جماعة من شيوخ العلم...

ويقول عنه ابن عبد الملك في الذيل والتكملة:"فسمع بالإسكندرية أبا بكر بن الوليد الطرطوشي، وبمكة شرفها الله، أبا عبد الله الحسين بن علي الشيباني الطبري... وعن جماعة من جلة علمائها، كأبي بكر محمد بن أحمد الشاشي وأبي الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، المعروف بالكيال الهراسي، ولزمه طويلا، وتفقه به، وأبي طالب الحسين بن محمد الزيني، وأبي عبد الله، ويقال فيه أبو بكر، محمد بن أبي بكر بن محمد أبي نصر التميمي القيرواني البارع في معرفة الأصول، وأبي علي الحسين، وأحمد بن علي الشقاق... وغيرهم.." فما أجمله ابن الزبير من شيوخه بالمشرق أوضحه ابن عبد الملك بالذيل والتكملة، كعادته في تتبع المترجم لهم، ويقول بعد ذلك:"روى عنه أبي بكر بن مؤمن، وأباء الحسن، بن خلف بن غالب وابن الضحاك، وابن مؤمن ، ومحمد الشقوري، وأبو الخليل مفرج بن سلمة...

وينقل ابن القاضي في جذوة الاقتباس عن المصدرين السالفين، وعن ابن الأبار في "التكملة".

ويتفق مترجموه على أنه كان فقيها، حافظا، مشاورا عارفا بأصول الفقه، وصنف في مسائل الخلاف . أي الخلاف العالي . يقول ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة "صنف" "تعليقه" المشهور في سبعة أسفار، ومن مصنفاته "كتاب أسرار الإيمان" في سفر...

وأنه نزل بفاس بعد عودته من المشرق، وعرف الناس فضله وعلمه، واشتهرت كتبه، وأثنى عليها العلماء شعرا ونثرا، وفي فاس قعد بجانب غربي جامع القرويين يدرس الفقه، وكان قد استظهر في صغره ببلده: "تهذيب المدونة" لأبي القاسم البراذعي، وكانت له عناية خاصة بحفظ مسائل الفقه، ثم عاد إلى بلده "جيان"، يدرس بمسجده المنسوب إليه، ويعظ الناس، واستمر على ذلك إلى سنة: 539هـ ثم حدثت فتنة كبيرة ببلده جعلته يعود إلى فاس مرة ثانية للإقامة بها، مقبلا على نشر العلم، وإفادته، يدرس الأصول، ومسائل الخلاف العالي إلى أن توفي بفاس سنة ستة وأربعين، وخمسمائة هجرية، وقد نفع الله الناس بعلمه وبمنهجيته في الحياة : علما، وزهدا، وحسن سلوك.. ومن أشهر العلماء الآخذين عنه: أبو محمد بن عبيد الله، والحسن ابن عبد الرحمن بن عبد ربه البجلي، وعبد الرحيم بن الملجوم الفاسي. سبقت ترجمته . وكان هذا ممن لازمه منذ الإقامةالأولى بفاس، وحصّل منه على كثير من أصول كتبه، وتلميذه ابن الملجوم هذا، ذكره في برنامجه، الذي ألفه في شيوخه.

ونستفيد من هذه الترجمة أن مسائل الخلاف العالي بين أئمة المذاهب وفقهاء الأمصار، كانت تدرس بالقرويين بفاس على عهد الموحدين، وأن الطلبة كانوا يقبلون على هذه الدروس، لما فيها من الاطلاع على وجهة نظر أئمة المذاهب الأخرى في المسائل المختلف فيها بينهم في الاستنباط من النصوص الأصلية.

ومما لاشك فيه أن مترجمنا كان متمكنا من هذه المادة، وله فيها مشيخة جليلة القدر، فشيخه الذي اعتمده في مسائل الخلاف العالي هو: أبو الحسن علي بن محمد الطبري، المعروف بالكيالهراسي، فقد لزمه بمكة مدة طويلة، وتفقه به، وكان من أبرز الآخذين عنه.

ويذكر كتاب الطبقات أن مكة المشرفة كانت في هذه الفترة تتوفر على مجموعة من كبار العلماء، كأبي الحسن الكياالهراسي المذكور، وأبي عبد الله الحسين بن علي الشيباني الطبري، وأبي بكر محمد بن أحمد الشاشي، وأبي طالب الحسين بن محمد الزيني، وأبي عبد الله محمد بن أبي بكر التميمي القيرواني، المتألق في معرفة أصول الفقه، وأبي علي الحسين بن أحمد بن علي الشقاق، وغيرهم إضافة إلى شيوخه بمصر، والشام والموصل.

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

فمترجمنا أبو عبد الله الخزرجي الجياني الفاسي (1)،من علماء الإسلام الذين خدموا العلم ووهبوا نفسهم له، تنقل بين العواصم العلمية بحثا عن الشيوخ المرموقين، . والعلم مشيخة كما يقال . متلقيا، ومدرسا، ومؤلفا... وبذلك أعطى أروع نموذج للعالم الذي صرف عمره في جمع العلم ونشره، فكان من الأمثلة الرائعة بين علماء الغرب الإسلامي، رحمه الله ورضي عنه، وإلى حلقة أخرى بحول الله.

(1)مصادر ترجمته:
. التكملة لابن الأبار.
. الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي.
. جذة الاقتباس لابن القاضي.
. جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي.

(تتمة ص:1)

ومما يؤكد بعض المصادر أن من أسباب انسلاخه عن المذهب الاعتزالي هو رؤيته للنبي (ﷺ)، ثلاث مرات وعلى فترات متتابعة وفي شهر رمضان المبارك، فكانت الرؤية الأولى في العشرة الأولى من رمضان والرؤية الثانية في العشرة الثانية والرؤية الثالثة في العشرة الأخيرة.

ولنقاء نفسه من الشوائب وصفاء باطنه أثرت عليه هذه المرائي ومن المعلوم أن رؤيته عليه الصلاة والسلام ليست من أضغات الأحلام، فالحديث الشريف يقول: انه قال عليه الصلاة والسلام: "من رآني فقد رآني" رواه البخاري وقال الرسول (ﷺ) : "من رآني قد رأى الحق" رواه البخاري ومسلم والدارمي، هذان الحديثان صحيحان، كما انها وردت أحاديث في الرؤيا الصالحة كثيرة.

وقد هيأ الله نفس أبي الحسن الأشعري وصفاها وهداها وخلصها من سوء الاعتقاد كما وجه تلك النفس لما يتفق مع عقيدة السلف الصالح، يقول السبكي في هذه الرؤيا ما يلي:

"ويحكى عن مبدأ رجوعه عن عقيدة المعتزلة أنه كان نائما في رمضان فرأى النبي (ﷺ) فقال له: أنصر المذاهب المروية عني فإنها الحق".

فلما استيقظ دخل عليه أمر عظيم ولم يزل مفكرا مهموما من ذلك وكانت هذه الرؤيا في العشر الأول.

فلما كان في العشر الأوسط رأى النبي (ﷺ) ثانيا في المنام فقال له: " ما فعلت فيما امرتك به؟" وقال: "يا رسول الله وما عسى أن أفعل وقد خرجت للمذاهب المروية عنك كاملة صحيحة، فقال لي: انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق".

فاستيقظ وهو شديد الأسف والحزن واجمع على ترك الكلام واتباع الحديث وملازمة تلاوة القرآن فلما كانت ليلة سبع وعشرين وكان من عادته سهر تلك الليلة أخذه من النعاس ما لم يتمالك معه السهر فنام وهو متأسف على ترك القيام فيها فرأى النبي (ﷺ) ثالثا فقال له: "يا علي ماذا صنعت فيما أمرتك به؟ فقال: قد تركت الكلام يا رسول الله ولزمت كتاب الله وسنتك، فقال له: أنا ما أمرتك بترك الكلام وإنما أمرتك بنصرة المذاهب المروية عني فإنها الحق، قال: فقلت: يا رسول الله كيف ادع مذهبا تصورت مسائله وعرفت دلائله منذ ثلاثين سنة لرؤيا!، قال: فقال لي: لولا أني أعلم ان الله سيمدك بمدد من عنده لما قمت عنك حتى أبين لك أوجهها فجد فيه فإن الله سيمدك بمدد من عنده، فاستيقظ وقال: "ما بعد الحق إلا الضلال".

فانطلق يناصر ما جاء في أحاديث الرؤية، والشفاعة، وكان الله تبارك وتعالى يفتح عليه في البراهين الدامغة والحجج الساطعة في كل ما يسمع منه، وكان كلامه مقبولا وحججه دامغة، حيث التزم الالتزام المطلق بمذهب السلف الصالح بدون تغيير ولا زيادة ولا نقصان.

ويؤيد أقوال السلف الصالح ومعتقده السني الصحيح بما يقنع أهل عصره وبيئته التي يعيش فيها من دلائل تؤيده بدون أن ينزلق في متاهات الآخرين التي خرجت بالكثير منهم عن الجادة.

وليتأكد الجمهور الإسلامي الذي عاش مع أبي الحسن الأشعري مدة يدافع فيها عن عقيدة الفرقة الاعتزالية، لهذا الغرض تغيب في داره خمسة عشر يوما وخرج بعدها إلى الناس بعد أن تبين له أن آراء الفقهاء والمحدثين المناهضين للاعتزال هو الصواب وذلك بعد أن غلق عليه بيته برهة من الزمن ووازن في هذه المدة بين أدلة الفريقين فاقتنع أن الحق مع أهل السنة والجماعة وتاب ورجع عن ما كان يقول به من اراء المعتزلة عندها نادى أبو الحسن الأشعري بالاجتماع عليه ووقف على المنبر يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي أنا(فلان بن فلان).

كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها. وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم.

معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقد، كما انخلعت من ثوبي هذا. وانخلع من ثوب كان عليه.

ودفع إلى الناس ما كتبه على طريق الجماعة من الفقهاء والمحدثين، وقد بين مذهبه السلفي الصحيح الواضح كما وضح مأخذه على معتقد المعتزلة في كتابه "الإبانة".

(يتبع)

الوثاق

من يقتدى بذبحه في الضحية هل السلطان أو أيمة الصلاة

للعلامة: الفاطمي بن محمد الشرادي 2/2

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد سئل كاتبه عفا الله عنه بمنه وكرمه وجعله من الشاربين لفيضان بحر نعمه عن تحقيق من يقتدى بذبحه في الضحية هل السلطان أو أيمة الصلاة للعيد فإنه يقع كثيرا في هذه السنين، تقدم إمام الصلاة في الذبح على السلطان فيحصل التشويش للناس بذلك والشيخ خليل حكى قولين فيمن يعتبر ذبحه، هل العباسي أم إمام الصلاة؟، فاجبت مستعينا بمثبت الألباب سائلا منه تعالى الهداية والتوفيق للصواب.

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

... وأما كلام ابن رشد في نوازله ونصه: وسئل عن ذبح الأضاحي هل معتبرة بذبح الذي تؤدي إليه الطاعة أو إمام الصلاة، فقال المعتبر في ذبح الأضاحي: الإمام الذي يصلي بالناس لأن الأضحية مرتبطة بالصلاة هـ.

فهو وإن أمكن أن يكون المصنف وابن عرفة حملاه على إطلاقه ولم يرداه لما له في البيان، فيكون الخلاف بين كلام اللخمي وكلامه في نوازله حقيقيا، لكن الظاهر رد ما لابن رشد في الأجوبة لما له في البيان، لأن المطلق يحمل على المقيد، والتوفيق بين كلام الأيمة مطلوب ما أمكن إليه سبيل.

فكيف بين كلامي الإمام الواحد، فلو قال المصنف من ذبح الإمام بشرط كونه إمام طاعة أو نائبا عنه لأجاد، قاله شيخنا في الاختصار.

❖❖❖

فتحصل أنه إن ذهبنا على التوفيق بينهما، وأنه لا خلاف في المعنى وهو المعول عليه فأيهما ذبحت بعده صح، وإنما المحترز عنه سبقهما معا إن كان واحد منهما في البلد، وإن ذهبنا على الخلاف فالراجح أن المعتبر هو ذبح إمام الصلاة، ثم الخلاف على القول به، فقيد بقيود أن يكون إمام الطاعة لم يتول الصلاة بنفسه، فإن تولاها بنفسه فهو المعتبر قولا واحدا ولا يعتبر غيره، وإن صلا صلاة العيد في غير مكان الأول ومقيد بما إذا لم يبرز إمام الطاعة أضحيته للمصلي، وإلا كان المعتبر أضحيته بلا خلاف، وإن لم يصل كما هو الواقع عندنا بفاس حاطها الله بمنه أ ن السلطان اتخذ نائبا عنه في صلاة العيد وخطبته لا في ذبح الضحية فإنه يبرزها للمصلي ويباشر ذبحها بيده فليس هذا من صور الخلاف لما تقدم ومقيده أيضا بما إذا ولاه أمر الصلاة فقط، ولم ينبه عنه في الذبح كما يؤخذ من ابن عبد السلام، فإن أنابه الإمام فيه أيضا فلا خلاف أنه يعتبر ذبحه كما يعتبر ذبح الإمام فيه فمحل الخلاف على هذا أن يكون السلطان أناب غيره في صلاة العيد ولم يتعرض للذبح ولم يبرز أضحيته لمصلى كما تقدم وليس هذا عندنا اليوم.

... ثم اعلم أنه ممن أنابه السلطان في صلاة العيد والذبح معا إمام الأندلس بفاس البالي يصلي بمصلى باب الفتوح ويضحي قبل السلطان بفاس الجديد غالبا، فمن ذبح بذبحه فهو على صواب وليست من صور الخلاف، ولو على القول به وإن كان ينبغي لأهل كل حارة أن يقتدوا بإمام حارتهم وإن صلوا وراء غيره في غيرها أو فيها كمجيء نائب عنه فيها لأن إمام الحارة مستخلف بالفتح من الإمام أو نائبه، وهذا على وجه الابتغاء فلو خالف لصح، وعلى صحة الذبح بذبح إمام الفتوح عول شيخ الاعصار والأمصار الإمام أبو عبد الله سيدي محمد القصار، لما سئل عما قيل أن من ذبح بذبح خطيب الأندلس، على ما مر عليه العمل ومشى من السنين، كما في التواريخ والعلماء والصالحون متوافرون لا يجزئه، وحزن لذلك غاية الحزن على أجورهم، أي فواتها وأجور المسلمين فأجاب:

❖❖❖

هذا باطل، تعلم قطعا أن الخلفاء نصبوه للذبح للناس رفقا بهم لأنه الخلفاء كثيرا ما يتعذر عليهم الخروج أول الوقت بل في وسطه لتهيء الجيوش وغير ذلك من أمورهم الكثيرة فيشق على العيال وغيرهم الانتظار، مع نذب الفطر عليها.

أقول وأيضا فإن اقتداء الخلق الكثيرين المفترقين في بلدين مستقلين وفي خارج البلدين في الصلاة والذبح بواحد يشق، وجري العمل بتعددها تبعا لتعدد الجمعة لهذين الأمرين المذكورين، ولأن سامع الخطبة في التعدد يتضاعف بخلافه في عدمها، وناهيك بها في الشرع، ويصليها الخليفة وراء آخر في ناحية فاس الجديد، لاقتداء أهله، والخميس والارياض والطالعة في المصلاة، والذبح، وربما خرج في زول الوقت،

❖❖❖

ومسألة ابن عرفة التي خولف فيها ليست مسألة خطيب الأندلس لأن الخليفة أذن في الذبح ولم يحضر، بل مسألته هي خطيب الخليفة، فرآى مخالفه أن كل خطيب يعتبر ذبحه لإطلاقهم، ورآى هو أن حضور الأصل وذبحه للناس يدل على عدم الإذن له في الذبح، فإن أذن له اتفاقا في الأجزاء وكذا إن لم يذبح الخليفة، ثم إن صح ما قيل أن البلدين المتقاربين كالمتباعدين على ما يقتضيه قبولهم رأي ابن القصار ان ذات الجانبين تعير كالبلدين وغير ذلك، فلكل بلد مصلاه ونائبه على فاس البالي كنائبه على مكناس، وارتفع التعدد وغيره وقول الونشريسي أي كالبلدين المتباعدين لا يصح، لأنها إنما تشبه المتقاربين وماله حجة إلا أن الجمعة لا تحدث داخل كفرسخ وهو محتمل للبلد مع قراه لا للبلد مع البلد ويؤيده المثل ونهى أن يتعارض لما به العمل والسلام على من يقف عليه ورحمة الله وبركاته وكتبه محمد القصار عفا الله عنه انتهى.

❖❖❖

فقد رأيت الصراحة في كلامه رحمه الله على الصحة وان صورة باب الفتوح مما اتفق على الأجزاء فيها لما فيها من اذن الإمام في الذبح كإذنه في الصلاة خلافا لما اشتبه عليه الحال فأفتى المسلمين بالضلال عفا الله عنا أجمعين.

❖❖❖

ثم الأيمة تقدم في كلام ابن عاشر ثلاثة الثالث إمام الصلاة الذي لا ينصب من قبل إمام الطاعة أو نائبه وقد قال ابن عاشر لم يذكر عن أحد صحة اعتباره لخ بناء على أن نصب الجماعة له غير معتبر وهذا ما لم يحمل كما لابن رشد في نوازله على الإطلاق والأصح الاقتداء بهم وإن لم يقاموا من قبل الإمام وأيضا جماعة المسلمين تقوم مقام الإمام في الأحكام إذا أهمل النظر فيها قال العلامة الرهوني.

❖❖❖

تنبيه: إن حمل ما لابن رشد في نوازله على إطلاقه سقط بحث ابن عاشر في القسم الثالث وإن رد لما له في البيان توجه بحثه، وكانت الضحية غير مجزئة باتفاق القولين، وقد وقع هذا البحث بدرس الشيخ اجنوى، والفصل الجواب عنه بأن الإمام إذا أهمل النظر في أيمة الصلاة، تتنزل جماعة المسلمين منزلته، فالمقدم منهم كأنه هو الذي قدمه وهو جواب حسن وأصله لأبي على ابن رحال فإنه قال الصواب صحة اعتباره أي القسم الثالث لأن الجماعة تقوم مقام الإمام الأعظم في تقديم الصلاة هـ.

❖❖❖

ولا مفهوم الصلاة عد الفقهاء، ثم قال العلامة الرهوني لكنه أي الجواب لا يرفع الاشكال مطلقا لأن جماعة المسلمين الذين يتنزلون منزلة الإمام هم أهل العدالة والعلم بما تتوقف عليه صحة الإمامة، فمن كانوا كذلك صح الجواب في حقهم، والغالب فقد هذا الشرط في غالب البلاد التي أهمل الأيمة النظر به في أيمة الصلاة.

❖❖❖

فالملخص من ذلك في حق هؤلاء أن يتأخروا بالصلاة والذبح حتى يغلب ظنهم أن ذبحهم وقع بعد الامام الأعظم أو من قرب منهم ممن يعتبر ذبحه.

والله تعالى أعلم.

❖❖❖

بقي قسم رابع من الأيمة وهو من لم ينصب ولم يبايع ولكنه تغلب بشوكته فهل يعتبر الوقت من ذبحه أو حكم الناس معه كحكم من لا إمام لهم؟ وبالثاني قال اللخمي ونقله التتائي وبالأول قال ابن عبد السلام وهو المعول عليه.

❖❖❖

قال الزرقاني:

تنبيه: نقله التتائي عن اللخمي أنه لا عبرة بالمتغلبين، ويكون الناس معهم كمن لا إمام لهم، فيتحرون ذبح أقرب الأيمة إليهم، ونظر ابن عبد السلام فيه بأن نصوص أهل المذهب نفوذ أحكامهم وأحكام قضاتهم، وعليه ابن غازي والبدر، فقال ينفذ حكمهم وتصح ولايتهم، نظرا لأنها صورة ولاية ولو رددناها لكان ذلك ضررا، وقد قال في الباغية ومضى حكم قاضيه وحداً أقامه. انتهى.

وكتبه أفقر الورى إلى مولاه الفاطمي ابن محمد الشرادي لطف الله به.

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل.

ح ع: د :2892

الحديث السبعون: ذم الشماتة بالمسلمين

في ظلال الحديث

نص الحديث: عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله (ﷺ): "لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك" رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب.

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه، في صفة القيامة والرقائق والورع، الباب منه، ج4/ص328/ح1932، والقضاعي في مسند الشهاب ج2/ص44/ح852، والطبراني في معجمه الكبير ج4/ص144/ح3949، وفي مسند الشاميين ج1/ص215/ح384. وفي المعجم الأوسط، وقال: لم يرو هذا الحديث عن مكحول إلا برد، ولا عن برد إلا حفص ولايرو عن رسول الله (ﷺ) إلا بهذا الإسناد.

درجة الحديث:

قال ابن حبان: لا أصل له من كلام رسول الله (ﷺ) بعد تجريحه لأمية بن القاسم، وشهادة أبي زرعة وأب حاتم أنه صدوق، وكذا قال شارح الترمذي، وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح، وضعفه الألباني، لكن للحافظ ابن حجر رسالة أجوبة عن أحاديث وقعت في مصابيح السنة ووصفت بالوضع منها هذا الحديث فأجاب الحافظ مايلي: أخرجه الترمذي من طريق مكحول عن واثلة بن الأسقع وقال حديث حسن غريب، ومكحول قد سمع من واثلة وأخرج له شاهدا يؤيد معناه من طريق ثور بن يزيد بن خالد بن معدان عن واثلة، قال: قال رسول الله (ﷺ): "من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله" وقال حسن غريب، هكذا وصف كلا منهما بالحسن والغرابة، فأما الغرابة فلتفرد بعض رواة كل منهما عن شيخه، فهي غرابة نسبية، أما الحسن فلاعتضاد كل منهما بالآخر، وعليه يصنف الحديث في درجة الحسن الغريب.

سند الحديث:

أخبرنا سلمة بن شبيب: هو أبو عبد الرحمن سلمة بن شبيب النيسابوري الحجري المسمعي نزيل مكة، كان صاحب سنة وجماعة، رحل في الحديث وجالس الناس وكتب الكثير. قال أبو حاتم وصالح بن محمد البغدادي صدوق وقال النسائي ما علمنا به بأسا وقال أبو نعيم الأصبهاني أحد الثقات حدث عنه الأئمة والقدماء وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحاكم هو محدث أهل مكة والمتفق على إتقانه وصدقه. مات بمكة سنة 247هـ.

حدثنا أمية بن القاسم الحذاء البصري: هو القاسم بن أمية الحذاء البصري. صدوق من كبار العاشرة ضعفه ابن حبان بلا مستند، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه ليس به بأس صدوق وقال أبو زرعة كان صدوقا. وشهادة أبي زرعة وأبي حاتم له أنه صدوق أولى من تضعيف ابن حبان له، وهو من كبار تبع الأتباع.

حدثنا حفص بن غياث: هو أبو عمر حفص بن غياث بن طلق النخعي قاضي الكوفة، كان شيخا عفيفا مسلما. قال العجلي ثقة مأمون فقيه وكان وكيع ربما سئل عن الشيء فيقول اذهبوا إلى قاضينا فاسألوه. وقال يعقوب بن شيبة ثقة ثبت إذا حدث من كتابه ويتقى بعض حفظه، وقال يحيى لم أر بالكوفة مثل هؤلاء الثلاثة حزام وحفص وابن أبي زائدة كان هؤلاء أصحاب حديث وقال النسائي وعبد الرحمن بن يوسف بن خراش حفص بن غياث ثقة. مات رحمه الله سنة 194 في العشر وصلى عليه الفضل بن العباس وكان أمير الكوفة يومئذ.

عن برد بن سنان: هو أبو العلاء برد بن سنان الشامي الدمشقي مولى قريش كان شاميا نزل البصرة. قال أحمد بن حنبل صالح الحديث، وقال يحيى بن معين ثقة وكذلك قال النسائي وعبد الرحمن بن يوسف بن خراش وقال عباس الدوري عن يحيى ليس بحديثه بأس وقال أبو زرعة لابأس به وقال في موضع آخر كان صدوقا في الحديث وقال أبو حاتم كان صدوقا وكان قدريا قال عمرو بن علي وخليفة بن خياط مات سنة 135 روى له البخاري في الأدب والباقون سوى مسلم.

عن مكحول: هو أبو عبد الله مكحول بن أبي مسلم الهذلي الأزدي العنكي البصري الفقيه الحافظ عالم أهل الشام. قال الزهري العلماء ثلاثة فذكر منهم مكحولا وقال أبو حاتم ما أعلم بالشام أفقه من مكحول وكان في لسانه لكنة يجعل القاف كافا. قال غير واحد توفي بالشام سنة113هـ.

عن واثلة بن الأسقع: هو أبو الأسقع الليثي. ويقال الأسقع لقب واسمه عبد الله. أسلم قبل تبوك وشهدها وروى عن النبي (ص) وعن عدد من الصحابة، وكان من أهل الصفة ثم نزل الشام. قال أبو حاتم شهد فتح دمشق وحمص وغيرهما. وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة، وكان ذلك سنة 86هـ، روي له 56حديثا.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم، ينبه من خلاله الحبيب المصطفى (ﷺ)، ويحذر من خلق ذميم، يفسد العلاقات الاجتماعية، ويفرق بين المسلمين، وجاء النهي ببيان الوعيد في الدنيا والآخرة، بأسلوب موجز بليغ، حتى تصان الأعراض فلا تنتهك، وتحفظ الذمم، ولايشمت أحد بأحد، أو يسخر قوم من قوم، كما بين ذلك رب العزة في القرآن الكريم.

مفردات الحديث:

"الشماتة": الفرح ببلية من يعاديك أو من تعاديه.

"فيرحمه الله": أي فإنك إن فعلت ذلك يرحمه الله رغما لأنفك.

المعنى العام:

1. من مقتضيات الأخوة حب الخير للمسلمين: من صفات المؤمن صادق الإيمان محبة الخير لإخوانه المسلمين، فهو يحب لهم مايحب لنفسه، ويكره لهم مايكره لنفسه، وتلك أعلى الصفات لمن هدي إليها، وفي الحديث: "لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه".

المؤمن الحق يسره مايسر إخوانه المؤمنين، ويحزنه مايحزن إخوانه المؤمنين، إن رأى خيرا فيهم فرح بهذا الخير، وإن رأى خطأ ساءه ذلك، يكون بذلك مخالفا للمنافق الذي يسره حزن المؤمنين، ويسوؤه فرحهم "إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها" سورة آل عمران/الآية:120.

المؤمن حقا يسعى في راحة إخوانه المسلمين، ويسعى في تقويم اعوجاج سلوكهم، ويسعى في جمع كلمتهم، ويسعى في تأليف قلوبهم، ويسعى في إصلاح ذات بينهم، ويسعى في كف الأذى عنهم.

المؤمن حقا إذا رأى الخطأ كان موقفه من هذا الخطأ موقف المؤمن الصادق في إيمانه، يسعى في إزالة ذلك الخطأ، يرشد، يوجه، ينصر أخاه المؤمن، ظالما أو مظلوما، إن يكن ظالما نصره بردعه عن الظلم، ومنعه من الظلم، وإخباره بأن هذا طريق خطأ ومخالف للصواب، فهو ينصره عندما يردعه عن الظلم، ويحول بينه وبين ظلم العباد، ويمنعه من التمادي في غيه وجهالته، وإن رآه مظلوما نصره ووقف معه حتى ترد إليه مظلمته، فهو مع الظالم إلى أن يرتفع عن ظلمه، ومع المظلوم إلى أن ترد إليه مظلمته.

هذا المؤمن عندما يصلح الخطأ لايصلحه رياء وسمعة، ولامحبة أن يثني الناس عليه أو يمدحوه، ولكن الأمر يسعى فيه لله وفي سبيل الله، ولذا قال الله: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين" سورة الأنفال/الآية:1.

2 المؤمن الحق ينصح ويسترد ولا يعير ولايفضح: المؤمن عندما يرى الخطأ ينصح أخاه المخطئ النصيحة الصادقة التي تصدر عن رحمة وشفقة ومحبة للمؤمن وحرص على هدايته وإنقاذه من الهلكة، هذه النصيحة نصيحة يحاول المؤمن أن تكون بينه وبين أخيه المؤمن، يسر له النصيحة حرصا عليه، وخوفا عليه من عذاب الله، وسعيا في نجاته، ينصح له نصيحة الصادقين المخلصين المحبين للخير، المبتغين الخير والإصلاح، وليس التعيير والفضيحة.

هذا المؤمن لاتراه فرحا بالهفوات، ولامشيعا للأخطاء، ولا ناشرا للعيوب، عندما يبلغه الخطأ يسعى في النصيحة قاصدا بذلك وجه الله والدار الآخرة، فإذا نصح ووجه كتم ذلك الأمر، وكأن شيئا لم يكن، هو لايريد أن يتخذ من النصيحة مجالا لتعيير المسلم وفضحه، والحط من كرامته وتشويهه، ونشر أخطائه وتدنيسه، وإشاعتها بين الناس، إنما نصيحته نصيحة لله و في سبيل الله، وقد ذم الله قوما يفرحون بأخطاء الأمة، ويسعون في تجسيد الأخطاء ونشرها وإذاعتها وتكبيرها ولو كانت صغيرة، لأن قلوبهم فيها غل ومرض على أهل الإيمان، فأي خطأ يمكن أن يحصلوا عليه لابد أن ينشروه ويذيعوه ويجسدوه، ويكبروه ولو كان صغيرا، ويعلموا به من كان جاهلا، لماذا؟ لأن القصد سيء، والنية فاسدة، والهدف خاطئ، فليس المراد الإصلاح، ولكن المراد النيل من قيمة الأمة، والحط من شأنها أفرادا أو جماعة، ولذا قال الله جل وعلا: "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون"سورة النور:19، يحبون ذلك بإعلانها، بإظهارها، بالتحدث بها، بنشرها بين الناس، وقد يكون البعض يجهلها ولايعلمها، فيأتي هذا يدعي أنه ذو دين، وأنه ذو غيرة، وأنه ذو حمية للإسلام، والله يعلم من قلبه إنما يريد نشر السوء والفساد، وإنما يريد التشويه والفضيحة والشماتة بمن ينسب إليه هذا الأمر.

إن المؤمن يسؤوه ضرر إخوانه المسلمين، فهو لايرضى أن ينشر عنهم سوءا، ولا أن يذيع عنهم عيبا أو خطأ، إنما يحاول إصلاح الخطأ إذا وقع بالطرق السليمة الدالة على صدق الطوية وحسن النية وصفاء السريرة، وأما أولئك الذين يحبون نشر كل فساد، ونشر كل خطأ، وإذاعة أي عيب أو زلل، ويحبون أن يكبروا ذلك الخطأ، وينشروه على الملأ، ويعلمون به من كان جاهلا، وهم يدعون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولكنهم المخطئون الكاذبون.

إن المؤمن يستر العيوب، ويقيل العثرات، ويغفر الزلات، ويحاول إيجاد الأعذار ما وجد لذلك سبيلا، فإن لم يجد عذرا من سبعين عذرا، فليلتمس عذرا كما أوصى بذلك نبي الرحمة بأبي هو وأمي، فهو لا يفرحه أخطاء الأمة، ولايسره ذلك، إنما يسره صلاح الأمة أفرادا وجماعة، ويفرحه أن يراهم على الطريق المستقيم، وإن رأى خطأ فالإصلاح له طرقه ووسائله، وأما الشماتة بالآخرين ومحاولة التحدث ليشفي ما في قلبه من غل على الأمة فتلك طريقة من لايريد الخير، ولايقصد الخير، ولايحب الإصلاح، ولذا قال الحبيب (ﷺ) في الحديث: "من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة" وإن هذا منطوق الحديث، فمدلول الحديث "من فضح مسلما فضحه الله في الدنيا والآخرة".

3 قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها حيث يشاء والجزاء من جنس العمل.

نقول بداية لذلك الذي نسي نفسه وبحث عن زلات غيره، يا من تشمت بالأمة، ويا من تفرح بأخطاء وزلات الأمة ويتاجر بالأمها، ويركب على الأخطاء والهفوات، والعيوب والزلات، ألا تخشى الله أن يقلب قلبك ويزيغه بعد إذ هداك فتقع في الباطل الذي كنت تحذره؟! إن الشامتين بالأمة والفرحين بأخطائها والمتربصين الدوائر هم قوم خلت قلوبهم من الإيمان الصادق، وتقمصوا ما ليس لهم، وادعوا ما لا يبلغونه، فليحذر المؤمن أن يكون خادعا لنفسه، ظانا بها الخير ، وهو على خلاف ذلك، ويعلم الله منه خلاف ذلك، (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) سورة البقرة/الآية:206. إن الله عز وجل يعلم من قلوب أولئك أن المقصد غير صحيح، والهدف غير سليم، لأنك ترى شماتة ونشرا لأي عيب وطعنا في فلان وفلان، ورمي فلانا بالزندقة، وفلانا بالنفاق، وهذا بكذا، وذاك بكذا، أوصاف يصفون بها بعض الناس من غير روية ومن غير بصيرة، ولكن الهوى يعمي ويصم، فيقولون بألسنتهم مما لايعلمون ولا يوقنون، يحملهم الهوى أن يقولوا ويفتروا الكذب وهم يعلمون (إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)سورة النحل/الآية:105.

إن المسلم وهو يغار على دين الله يمسك لسانه أن يقول باطلا، أو يتفوه بخطأ، أو يرمي إنسانا مسلما بما هو منه بريء، لكي يكون على بصيرة من دينه.

4 أدب تلقي ونقل الأخبار: لقد أدب الله عباده المؤمنين بقوله: (يأيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)سورة الحجرات/الآية:6، أدب من الله لنا أمام خبر يرد إلينا، ولاسيما ممن عرف بالفسق والكذب وعدم التثبت في الخبر أن لا نقبل أخباره، بل نتثبت ونتحرى، فعسى أن تكون تلك الأخبار أخبارا غير صادقة، كم من مخبر بأخبار وناقل أشياء إذا محصتها على الحقيقة وجدتها خالية من الصدق، خالية من الحقيقة، وإنما هي مجرد هوى وتلقف ألفاظ تنتقل بين الناس، كما تنتقل النار في الهشيم، كل هذه الأمور لايليق بالمسلم أن يعتمد عليها، يقول الله لأصحاب نبيه (ﷺ) (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) سورة النور/الآية:15. فأعراض المسلمين عظيمة عند الله، إياك أن تجرحها بغير برهان، وإياك أن تنسب إليهم ما هم براء منه بغير حجة، إن تكن صادقا في قولك فأين نصيحتك؟! وأين اتصالك بالمخطئ لتبلغه نصحك وملاحظاتك وتقوم أخطاءه إن كنت صادقا؟! أما الانبساط في أعراض الناس في المجالس والأماكن فتلك طريقة الجبناء حقا، ولذا قال الله عز وجل: "إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) تثبتوا في الأمر، (أن تصيبوا قوما بجهالة) تصيبوهم بغير علم، فتنسبون إليهم ما هم براء منه، وتقولون عنهم مايعلم الله براءتهم منه، وقد يبلغ بك الندم مبلغه، لكن بعد ماذا؟ بعد أن شاع الخبر، وانتهكت الحرمة، وتشوهت السمعة، هذا إن حصل ندم فعلا.

5 وأخيرا: فليتق المسلم ربه، وليزن أقواله وتحركاته وتصرفاته لتكون موافقة للشرع، حتى يسلم دينه، فأعراض المسلمين عظيمة عند الله، لايحل انتهاكها بغير حق، وإنما المؤمن من يسدد الخطأ، ويصلح الحال، وينصح الأمة، ويسعى في التوفيق والإصلاح ماوجد لذلك سبيلا.

أسأل الله أن يجعلني وإياك القارئ الكريم، ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)سورة الزمر/الآية:18.

فوائد الحديث:

×المؤمن الحق يفرح لفرح أخيه، ويحزن لحزنه.×النهي عن الشماتة بالمسلم.

×النهي عن الفرح بخطأ أخيه المسلم.

×العقوبة من جنس العمل، والقلوب بين أصبعي الرحمن يقلبها كيف يشاء.

حديث المنابر

المؤمن إنسان يقظ

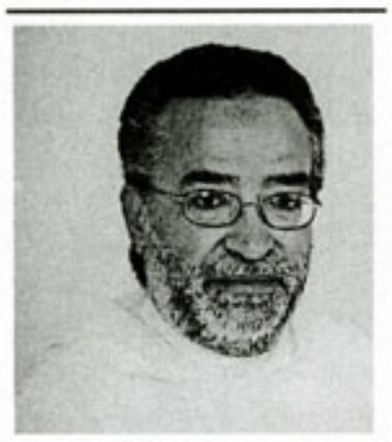

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنعم على عباده الذين ارتضاهم (ﷻ) بنعمة الإيمان الحق، صلتهم به وثيقة لاتنفصم عراها، ذكرهم له دائم لايغيره حال، ولايصير عندهم إلى زوال، وهو سبيلهم إلى حسن المآل، أشهد أنه الله لا إله إلاهو وحده لاشريك له، ولا صاحبة ولا ولد ولاند ولا نظير، توكل المؤمنين عليه، واستعانتهم به في كل أمورهم، وفي كل حركاتهم وسكناتهم.. يأخذون بأسباب الحياة.. ولكن رابطتهم موصولة بمسبب الأسباب.. لاقوة لهم إلا به، ولاعون يرجونه إلا منه، ولاتأييد يتوقعونه إلا فضلا منه... وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا رسول الله، علمنا أن نحيا مؤمنين حق الإيمان، قلوبنا يقظة، بصائرنا مفتحة، عقولنا متنبهة إلى بديع صنع الله في الكون من حولنا، يقيننا ثابت راسخ مكين متين أن يد الله العليا هي التي تسير بلطف أمور العالمين وشؤون المخلوقات كلها...علمنا أن نكون مع الله في كل حين وعلى كل حال..وأن نعلم ونحس ونشعر بأنه معنا أينما كنا وكيفما كنا.. نذكره فيذكرنا.. علمنا أن نرى آثار قدرة الله بادية وسارية بلا قيود في كل صغيرة وكبيرة من أسرار الحياة والخلق ومظاهره.. ما شهدناه منها، وماخفي عنا وغاب إلى حين أو إلى غير حين.. علمنا أن نزداد إيمانا بذلك ليزداد إيماننا بالله، وحبا له، وذكرا له، وتوكلا عليه، ويقظة في التفكر في خلقه، وفي تدبر كتابه... فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه من اليقظين غير الغافلين إلى يوم الدين...

أيها المؤمنون البررة الكرام، يقول الله عز وجل: "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار،،"(آل عمران/الآية:190).

يريد الله تعالى من عباده المؤمنين حق المؤمنين أن يحيوا حياة حقيقية بالنظر في الكون من حولهم نظر التفكر والتأمل، ليزدادوا علما باتصالهم بآلاء الله اتصال نفع وانتفاع وإفادة واستفادة لإغناء الحياة فيهم ومن حولهم وإثرائهم بما يرفعها ويباركها ويزكيها.. يريد منهم أن يكونوا أولي ألباب يستجيبون لدعوة الحياة التي تأتيهم من الله ورسوله بحب وخشوع وإدراك ووعي... فتنتج دعوة الحياة هذه في قلوبهم المؤمنة اليقظة الواعية شفافية تصلهم بالكون من حولهم على اتساع مداه، فيحبونه بما فيه ومن فيه، ويربطون الصلة الوثيقة به للوصول إلى حقيقته وإدراك غايته وتسخير نواميسه للارتفاع والسموإلى ذكر خالقه واللهج بشكره والنهج على عبادته بما أراد كما أراد بحسن التعامل مع الكون، تقربا إلى رب الكون ابتغاء مرضاته واتقاء غضبه وعذابه، والتفكر في خلق الله عبادة... وذكر الله اتصالا بخلقه لنفعهم عبادة.. والاستجابة لأمر الله بعد ذلك وقبل ذلك ومع ذلك، بطاعته، وطاعة رسوله أيضا عبادة... وطاعة الله وطاعة رسوله بالوقوف عند حدوده فلا يتعداها المؤمن، بالانصياع إلى أوامره ونواهيه كما بلغها لنا رسوله الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى، صغيرها وكبيرها، وقد قال (ﷺ) يحثنا على ذلك فيما صح عنه: "لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به". وبهذا الشكر والذكر والتفكر، ومايتلوه ويصاحبه ويحفزه ويستحثه من طاعة الله ورسوله تصفو القلوب، وتشف الأرواح، وتتفتح المدارك، ويعيش المؤمن مع نفسه وأهله ومجتمعه وأمته ومع الإنسانية جمعاء... بل مع الكون كله، بما فيه ومن فيه، في وفاق، وبمنجاة من الشقاق، وفي وئام وسلام، إلى أن يلقى الله السلام في دار السلام بسلام...

فاللهم حقق لنا حسن التفكر بحسن التلقي، لنحسن الذكر، فنحسن العبادة، لنحيا الحياة الحقيقية في سلام ووئام بمنجاة من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، خلق الخلق بالحق.. وجعل المؤمن الحق يحيا بالحق للحق.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه من عباد الله الصالحين المتفكرين الذاكرين، أصحاب العقول النيرة التامة الزكية المدركة بكل جلاء لحقائق الأمور كما خلقها الله تعالى، وكما أرادها عز وجل للغاية التي من أجلها خلقها..

أيها المؤمنون البررة الكرام، من النماذج الحية لما كان عليه سلفنا الصالح من سعي لتفهم حكمة خلق الكون بسمائه وأرضه رجاء الوصول إلى إدراك عظمة خالقه وحكمته وقدرته، ما أخبرنا به العبد الصالح الشيخ سليمان الداراني رحمه الله تعالى حين قال: "إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة". ولهذا كانوا يحبون كل خلق الله.. وجعلوا قاعدة سلوكهم في حياتهم أن يدرأوا المفسدة مااستطاعوا عنهم، ويجلبوا المنفعة إليهم ماأطاقوا... لأن الخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.. والعكس صحيح لأن الله لايحب الفساد ولا المفسدين... فاللهم اجعل لنا في كل مانعمل أو نترك نعمة منك تشملنا وتحيط بنا من جميع أقطارنا، واجعل لنا في كل مانرى ونسمع ونحس عبرة تنفعنا بالتقرب إليك، بذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأعنا على ذلك...

. مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين، اللهم كن له الولي والنصير، والمعين والسند والظهير، والحامي والواقي والمجير، ويسر له إلى الخير والبر والهدى والتقى والعفاف والغنى، وحسن التفكر والتدبر والعبادة وجلب النفع ودرء المفاسد كل أمر صعب وعسير، وأصلح له الحاشية والبطانة والوزير، وأخلص له الوالي والعامل والنائب والجندي والمشير.. وأقر اللهم عينه بفلذة كبده وثمرة فؤاده وولي عهده الفرحة الدائمة والبشرى المتواصلة صاحب السمو الملكي مولاي الحسن وأنبته نباتا حسنا ذرية مباركة طيبة في ظل رعاية والده مولانا أمير المؤمنين أعز الله أمره وأطال عمره، على عينك وبعينك.. اللهم أقر عينه بشقيقه السديد المجيد السعيد صاحب السمو الملكي مولانا الرشيد.. اللهم أشدد به أزره، واجعله له ردءا يصدقه، اللهم أدخل السرور والانشراح على قلبه بيمن شعبه وأمنه ورخائه بتحقيق مساعيه الدائبة لكل ذلك.. اللهم اجعلنا جميعا من حسناته.. مولانا الحسن الثاني ومولانا محمد الخامس اللهم اجعلهما لديك ممن أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

اللهم ارحمنا وارحم والدينا وارحم من علمنا ومن له الفضل علينا وارحم أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما.. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم اللهم اغفر لنا ماقمدنا وماأخرنا وما أنت أعلم به منا.. وأصلح حالنا ومآلنا وأصلح مابيننا وبينك ليصلح مابيننا وبين أنفسنا وما بيننا وبين خلقك أجمعين...

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين... وارض عن آله الأطهار، وصحبه الأبرار، والتابعين الأخيار، حتى نكون معهم عندك في أعلى فردوس الرضوان في أمن ويمن وقرار... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

انطلاق الشاعر من مقام التحفيز إلى مقام الإنجاز

■ بقلم : د . عبد السلام الطاهري

■ أجمع شعراء الشعر الولوي ، أن للشيخ وللطريقة مكانة خاصة متميزة في التنظيم الطرقي ، سواء على مستوى التكوين والتأطير ، أو على مستوى الدعوة والتوجيه ، وتزداد مع حضور الإيمان بالبركة بنمطيها ، البركة الشخصية المكتسبة ، والبركة المتوارثة ، لأن صفات التقوى والصلاح والورع لا تكفي لدى المجتمع المغربي للاعتقاد في الولي بشكل مطلق ، ولكن إذا كان شريفا من آل البيت، فهذا يكفي للتبرك به، وإذا جمع بينهما كان في درجة التعظيم والتقديس ، وأما إذا عرف عنه العلم اللدني والمعرفة بالله فإن المرء يلجأ إليه لحل المشاكل ، والاستشارة في كثير من الأمور ، وللشفاعة والتبرك بهدف الإنجاب ، أو الزواج ، أو الشفاء إلخ ، وهذا يؤكد أن الدور الديني والروحي الذي كان يتمتع به يفرض على الناس احترامه وتقديسه، وربما يدفعهم ذلك إلى الخوف مما قد يلحق بهم من ضرر أو أذى ، في حالة إنكار مشيخته أو ولايته ، لاعتقادهم ببركاته وقدراته على الفعل.

وعلى ضوء ذلك نجد أهل التصرف الطرقي يؤكدون على اشتراط وجود الشيخ، وهم ينطلقون « من كون التصوف سلوك طريق موصل إلى الله، وكل سالك للطريق محتاج فيه إلى دليل مرشد عارف ناصح» ، لأنهم يعتبرون الانخراط في الطريقة واكتساب علم التصوف والممارسة الصوفية ، تحتاج إلى شيخ الطريقة، ومن باب التربية والتعليم أصبح الشيخ ضروري في كل علم، وتكون الضرورة أشمل في علم التصوف ، هذا الرأي قد أكده محمد بن ابراهيم السباعي المراكشي بقوله : « إن من لا شيخ له ، فالشيطان شيخه، ومن لم يمت تحت بيعة شيخ مات في ترهات الضلال» وقد أدى حرص أتباع الطرقية إلى بيعة شيوخهم ، واعتبارهم دعامة أساسية لكل مريد يطلب المعرفة الصوفية، ويسلك طريق الزهد، لهذا أشادوا بهم إلى درجة التقديس ، كما سعوا إلى إثبات شرعية طرقهم ، ومرجعيتها السنية، وأكدوا أن استمرارها رهين بمكانة شيخها ، وكثرة أتباعها ، وفي هذا الصدد قال أبو محمد عبد الله الهبطي في أرجوزته « شمس الضحى » منها:

. وسادس الفصول في بيان
شيخ الطريق إلى الرحمان
لأن الأصل في كل حالة
إن جاد جاد الفرع لا محالة
إن لم يكن خليفة الرسول
لدى الفروع ولدى الأصول
والشرع والطريق والحقيقة
قد شد ذاك في عرى وثيقة
فهو ناقص ، وكل ناقص
عن سبيل المستقيم ناكص
ضرره للدين والإخوان
أضر من ضرورة الشيطان

ولذلك لم يكن من الممكن أن تتم الممارسة الطرقية خارج إطار المشيخة ، وأن الوصول إلى مدارج الصوفية، يتطلب من المريد أن يتبع شيخا عارفا واصلا، « تحقق اتباعه للسنة وتمكنه من المعرفة»

إن أهم الصفات التي نوه بها الشعر الولوي تنحصر في ثلاث صفات أساسية، قد تؤهل من يتصف بها إلى المشيخة ، وبذلك يكون كعبة المريدين وطلاب العلم الصوفي الطرقي، وهي :

أولا : أن يكون الشيخ عالما بالفقه ، وبأصول الدين ، وبأحكام الشريعة (ومعرفة طريق الله، ولا حدود لهذا العلم، مادامت مهمة الشيخ أكبر من التعليم والتربية والتوجيه، وتبيين القبيح من الحسن، ولذلك اشترطوا فيه شرط الفقه ويجب أن يشمل « أصول الدين حتى يفرق الشيخ بين الخلق والخالق ، وبين النبي والمدعي .. وأن يكون عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما ، ليكتفي بنظره عن التقليد في الأحكام الشرعية » ، وقد طرح الخطاب الشعري الولوي هذه الصفة ومن خلالها ألح على ضرورة التعلق بالشيخ وبطريقته ، وهذا ما نجده على سبيل المثال عند الفقيه الشاعر أبي محمد عبد الله الهبطي في أرجوزته « كشف الأحوال» التي يبرز فيها علامات الشيخ بقوله.

علامةالشيخ المربي عدها
سادتنا وبينوها كلها
فمنها أن يكون ذا دراية
في جملة العلوم بالنهاية
قد استوى سرا وجهرا بالحصول
على التحلي بأخلاق الرسول
ومن يقل الشيخ لا يحتاج
إلى العلوم لا ولا يلتاج
إلى الفعال قوله بهتان
بل مثل ذاك في الورى شيطان
فسيد الخلق من القيام
تورمت قدماه في الاقدام
لكن على الإجمال والتفصيل
فالشيخ حقا وارث الرسول
والحق عند الناس أو الوارث
يكون كالموروث قل للعابث
وعندما صح لدى التحصيل
أن شؤون الشيخ كالرسول

ونلاحظ أن ما يطرحه الفقيه الشاعر في هذه الأبيات المقتطفة من أرجوزته هو إبراز ما يتصف به الشيخ من علامات المشيخة ، وشروط انتصابه لها، على أساس العلم والدراية أولا، ثم حسن التربية والقدوة ثانيا ، ثم خلافته ووراثته للرسول صلى الله عليه وسلم ثالثا، أما أهم علامات الشيخ هي أن يكون عالما ، فاضلا ، عارفا ،واصلا مربيا ، حتى يكون نموذجا لمريديه في التربية الدينية الصوفية ، بالإضافة إلى أصله الشريف الذي يؤهله ليكون خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم، على مستوى التعليم والإرشاد والهداية ، وتقديم النصح، والتوجيه نحو الصلاح والتقوى.

ثانيا: أن يكون الشيخ قدوة أخلاقية ، وذلك بترك الطمع ، والاعتناء بالله وسهولة الدنيا عليه وسخاءوزهدا ، واستعمال مكارم الأخلاق ، والانتصاف في الحق ، بجانب « الرضى بقضاء الله والنصح لعباده، وترك الدنيا وحب الآخرة ، بل نجد ابن عطية يعتبر الشيوخ « آباء في الدين ، ووصلة للعبد بينه وبين رب العالمين» ، كما يعدهم محمد السباعي المراكشي « وسائط بين الله وبين عباده فمن لم يعظم الوساطة لم يعظم الموسوط» ، وتبعا لهذا الوعي بدور الشيخ الروحي كان شعراء الطرقية يعبرون عن اقتناعهم بأهمية الطريقة وشيخها، خاصة الذين ينتمون إليها أو يتعاطفون معها ، وخير نموذج عن ذلك قول محمد بن العربي الدلائي، الذي استحوذت عليه صورة شيخ، فاشتاق إليه، وتطلع إلى وصاله.

. قد أصبح الكون في حسن وإشراق
واخضل روض القلوب من سنى الساقي
. وأشرقت في سماء الوصل طالعة
شمس المعارف ذوقا أي إشراق
. أما ترى ما ترامت من محاسنها
في أنجم برزت تزهو بأذواق
. فوا الهوى ما النوى يبقى لنا خلدا
إلا وشب به أشد إحراق
. والشوق يزداد إن دنت منازلهم
والوصل صيرني في زي مشتاق
. نفسي الفداء لكهف قد حللنا به
غوث الندى مثمر الأغصان والساق
. طود السعادة والحسنى التي سبقت
نجل الرسول سمي القدر حراق
. شيخ الطريقة ، نور الله ، منهجه
سر الحقيقة في علم وأذواق

« فقد كسرت نفس الشاعر قيود البعد والفراق ، وانطلقت ترتع في أجواء جمال الكون المشرق ، وتتغنى بنعومة واخضرار روض القلوب التي اجتاحها نور المعرفة الذوقية ، مبشرا بلحظة الوصل بعد أن فتك هوى الشيخ ، وحبه بعاطفة الشاعر وسكن جوارحه ، حتى إذا دنت منازل الحبيب ، وازداد أوار الحنين ، وتصاعد لهيب الوصل ، انطلق لسان القلب يصف المحبوب ، ويتبرك بطلعته ، فهو الكهف والمأوى» و«غوث الندى» و«طود السعادة» و«نجل الرسول» وشيخ الطريق و« نور الله» أغصانه مثمرة ، وقدره سام ، ومنهجه سر الحقيقة..

فهذه . كما يظهر . خصال تدل على علو مقام الشيخ « سيدي محمد الحراق » وعلى وفاء الشاعر له ، ونشدان لقائه، والفوز بطلعته وكمال مقامه، وقد هيمنت هذه الرغبة على فضاء النص في بعده الدلالي والعاطفي» وتتجلى هذه الصورة من خلال هذه الخطاطة:

فكيف لا ولسان أتباع هذه الطريقة أو تلك يصدحون ويلهجون بأهمية الشيخ القدوة ورعايته لأتباعه ، ويطلبون ضمانه وإغاثته ، وأن غاية المريد من أتباع آداب الطريقة ونصائح الشيخ القدوة هي الطمع في الضمان، والوصال والقرب ، لاعتقاده أنها وسيلة للفوز ، وقوت للقلب، مادام يخلص النية والعمل ، ويقتدي بشيخه ، ويلتزم بحدود طريقته .

ثالثا: أن يتصف الشيخ بالفتح والمدد والفيض، وإمكانية نقل كراماته إلى أحد أصحابه أو مريديه ، وهذه القدرة الخاصة هي التي تميز مكانة الشيخ ومدى شعبيته ، وشهرة مناقبه وكراماته، وتفسح له المجال ليجد نفسه بين صفوف الأولياء الكبار والعارفين بعلم الظاهر والباطن، ويطير صيته ويحج إليه طلاب العلم، والمريدون ، فينتج عن ذلك عدم الانفصال بين ارتياد الزاوية أو الانتماء إلى الطريقة.

فكلاهما يتوقفان على وجود شيخ مقتدرتوفرت فيه الصفات السابقة ، وفي هذا المنحى يقول أحمد بن الطيب السفياني ، في الشيخ المربي، صاحب السر الظاهر والفضل الراجح، والشافع لأتباعه ، ويقصد به الشيخ أحمد التيجاني.

تابع ←

صلاة الجمعة

الحلقة الأولى

■ الفقيه الأستاذ محمد بن لحسن الحسني

■ فضل يوم الجمعة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها » مسلم عن أبي هريرة وقال صلى الله عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا» مسلم عن أبي هريرة وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي» أبو داود بإسناد صحيح عن أوس بن أوس . وفي رواية لمسلم « ... ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»

تعظيم يوم الجمعة : ينبغي تعظيم يوم الجمعة لأن الله تعالى عظمه ، وذلك بتكثير الأعمال الصالحة واجتناب السيئات والمعاصي ، أما ترك الشغل واجتناب العمل يوم الجمعة ، فإن كان لتقليد النصارى واليهود في الأحد والسبت فلا شك فهي نية فاسدة ، وإن كان للاستعداد للجمعة والراحة الأسبوعية فهو جائز ، على أن تستأنف الأعمال بعد الصلاة ، قال تعالى« ... فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ....» سورة الجمعة الآية :10

حكمتها : شرعت الجمعة لجمع المكلفين القادرين على تحمل المسؤوليات من أهل البلد أو القرية، في كل أسبوع بمكان واحد ، ليتلقوا كل ما يجد ويحدث من أمور يصدرها إمام المسلمين وخليفتهم ، فيما يتعلق بمصالح الدنيا والدين.

تعريفها: هي صلاة ركعتين بعد الزوال من يوم الجمعة جهرا بعد خطبتين .حكمها: فرض عين، لقول الله تعالى:(يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ...) سورة الجمعة الآية 9. ويندب استئذان الإمام عند إقامتها.

شروط وجوبها :

1- الذكورة ، فلا تجب على المرأة.
2. الحرية، فلا تجب على العبد.
3. السلامة من الأعذار المسقطة لها: كالمرض والسن مع عدم القدرة على الإتيان إليها.
4. الإقامة ببلد الجمعة أو قرية أو مخيم قريب من بلدها بثلاثة أميال وثلث الميل ، (ومجموع ثلاثة أميال هو الفرسخ) فأقل من منار البلد، روى أبو داود والحاكم:(الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة ، عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض). وروى الطبراني عن ابن عمر رفعه: (ليس على مسافر جمعة) زاد أبو هريرة وأهل البادية ، أنجع المساعي ص: 42 فإذا نوى المسافر إقامة أربعة أيام فأكثر وجبت عليه وجاز أن يؤم ، فإن حضرها بعض هؤلاء الأربعة ، فإن كان من أهل الأعذار وجب عليه دخولها، إذ بحضوره سقط عذره وعاد الوجوب.

وإن كان من أهل الثلاثة الأخرى ، فلا يجب عليه دخولها ، بل يجوز فقط .

قال الأجهوري:

من يحضر الجمعة من ذي العذر ❖❖❖ عليه أن يدخل معهم فادر
وما على أنثى ولا أهل السفر ❖❖❖ والعبد فعلها وإن لها حضر

ويجوز لأهل الأعذار أن يصلوا الظهر جماعة بدون آذان ، كالعبيد والمسافرين، بعد أن ينتهي الناس من صلاة الجمعة . فإن كان عذرهم خاصا: كمن سها أو خاف.. فلا يجمعون الظهر لأن في عملهم طعنا في الإمام والجماعة . فإن جمعوا أجزأت.

شروط صحتها : وتسمى شروط الأداء خمسة:

1. الإستيطان.
2. حضور اثني عشر رجلا بشروط ستأتي ، روى مسلم عن جابر رفعه: « كان صلى الله عليه وسلم يخطب قائما ، فجاءت عير من الشام فانتقل الناس إليها حتى لم يبق إلا إثنا عشر رجلا. أنجع المساعي ص 40.

وفي ذلك قال الله تعالى« وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما... » سورة الجمعة الآية :11.

والعدد في خلاف . وأول جمعة في الإسلام صليت بأربعين . ويشترط عدد اثني عشر رجلا في الجمعة الأولى بالمسجد وفي غيرها.

3. الإمام المقيم.
4. الجامع.
5. الخطبتان (والأربعة الأولى شروط وجوب وصحة معا.)

والاستيطان هو الإقامة بنية التأبيد. ويشترط فيه شرطان:

1. أن يكون ببلد أو خصاص :(أكواخ وأعشاش).
2. وأن يكون بجماعة تتقرى بهم القرية ، ويستغنون عن غيرهم في معاشهم وأمنهم . فإن كانوا مستندين في معاشهم إلى غيرهم كانوا على نحو فرسخ لم تجب عليهم كأهل الخيام. ولو أحدثت جماعة تتقرى بهم القرية بلدا على نحو فرسخ من بلد الجمعة، لوجبت عليهم الجمعة استقلالا . وأهل الخيام القريبون تجب عليهم.

شرط 12 رجلا: لا تصح الجمعة . عندنا . إلا بحضور اثني عشر رجلا زائدين على الإمام في الخطبتين والصلاة في كل جمعة. ويشترط فيهم.

1. أن يكونوا جميعا من أهل البلد . فلا يصح تكميلهم من الموقتين كالتجار والمارين.
2. أن يحضروا مع الإمام من أول الخطبة إلى أن يسلم من الصلاة . فلو فسدت صلاة أحدهم . ولو بعد سلام الإمام . بطلت الجمعة ، ولا يشترط حضور جميع أهل البلد في الجمعة الأولى.

شروط الإمام : لا تصح الجمعة بالصلاة أفذاذا ، بل لابد لها من إمام ، ويشترط فيه شرطان:

1. أن يكون مقيما ولو لم يكن مستوطنا . إلا الخليفة ونائبه يمر بقرية تحت نفوذه فله أن يؤم فيها.
2. أن يكون هو الخطيب فلو صلى بهم غير من خطب لم تصح إلا لعذر مما يبيح الاستخلاف . ويجب انتظاره إذا كان زوال العذر قريبا كالوضوء.

وللفقيه الطاهري في الذي تصح إمامته في الجمعة:

جمعة أوجب على من سافر ❖❖❖ مسافة لاقصر فيها يذكر
كقاصد زرهون من فاس ولا ❖❖❖ يؤم في المشهور عند من علا
إذ بعده أكثر من كفرسخ ❖❖❖ يمنعه من أن يؤم يا أخي
مالم يكن نوى إقامة بَبَ ❖ ❖❖❖ لغير خطبة وإلا خطبا
فإن نوى إقامة لأجل أن ❖❖❖ يخطب لم تجز به فأبطلن
يظهر ذا مع وجود غيره ❖❖❖ إذ عند فقد لا امترا في أمره
وإنما يجوز أو يؤم من ❖❖❖ يبعد نحو فرسخ فلتعلمن
وقليل بل يؤم مالم يبعد ❖❖❖ مسافة القصر ولم يعتمد
انظر نوازل الإمام المهدي ❖❖❖ فإنها إلى الصواب تهدي
وشارحي المختصر الخليلي ❖❖❖ نالوا الجزا من ربنا الجليل

(تتمة ص6)

سقانا بكأس وده ووداده
بحضرته تحيا قلوب أحبته
فنلنا بها فخرا وطابت نفوسنا
ولازال يرعانا بعين رعايته
فياله من شيخ مرب ومشد
وكهف الذي يأوي بصدق عزيمته
خليفة خير العالمين محمد
تجاني تاج العارفين برتبته
أبا أحمد المحمود في كل موضع
ويا ملجأ المضطر عند بليته.
فأنت ولي الله وابن حبيبه
ونعمته العظمى علينا بمنته

وتدل القرائن على أن الشيخ العارف سواء كان تجانيا أو درقاويا أو وزانيا... هو الذي يكون ملما بأسرار الحقيقة وكامل اليقظة والرضى ، لأمرين لابد منهما:

الأمر الأول : ما يفاتح به في مقامه من الفتوحات والفيوض والتجليات وعجائب الحقائق و الأسرار ، التي لا يطيق العقل إحاطة الإدراك لها، فضلا عن التلفظ بها، فيعرف ما يلزمه في كل فعل ، وفي كل أمر ، من ذلك على حدته من الوظائف والآداب والمقابلات ، التي هي مقتضيات العبودية.

والأمر الثاني : تيقظه ورصده لما يتقلب فيه الوجود من الأطوار ، من خير وشر أو غير ذلك ، فيعلم في كل فصل من ذلك، وفي كل أمر ، أي تجل للحق هو البارز فيه ، ومن أي حضرة كان ذلك الطور، ولماذا وجد؟ ومايراد منه؟ فيعطي لكل شيء من ذلك ، وكل أمر ما يستحقه بحكم الوقت من الوظائف والآداب والمقابلات التي هي مقتضيات العبودية ، حتى لا يشذ عليه من ذلك في كل مقدار طرفة عين من الزمان شيء.

إن قصيدة الدفاع عن الشيخ تعد بحق دليلا على صدق عاطفة شعراء الطرقية تجاه شيوخهم، وعلى إصرارهم على تأكيد مشروعية الشيخ والطريقة ، فالتعلق بهالة « شيخ الطريقة» لون من ألوان التعبير عن الاستعداد الدائم للحفاظ على صورة الشيخ في أعلى مراتبها ، وعن مدى إيمانهم بأهمية الارتباط بمقامه كخطوة ضرورية في التجربة الصوفية الطرقية، وهذا يتضح أكثر في قصائد مدح الشيخ وإظهار حبه وطلب وصاله، حيث استهدف منتوجها الجمع بين الأنا / الشاعر أو الذات المتصوفة، ومقام الشيخ (مصدر التصوف)، وعلت رغبة الوصال ، وأعلنت الذات المتصوفة عن رحلتها باتجاه كمال هذا المقام، لتصل بعد ذلك إلى تجربة الإنجاز والتحقق، لأن المريد باعتباره ذات طريقة يسعى إلى تذويب المسافة التي تفصله عن « الذات الممكنة» أو « الرؤيا والهدف» عن طريق ملازمة شيخه والاقتداء به حتى يستفيد من فيضه ومدده.

وشيوخ الطرق كانوا يسطرون حياة مريدهم بناء على قيادتهم الروحية، وتصورهم وأفكارهم وممارستهم، ويحرصون على« صلابة الممارسة الطرقية ، وإثبات شرعيتها، لهذا اجتهدوا مع اتباعهم في إضعاف الصبغة السنية على ممارستهم وسلوكهم في العبادة والذكر ، واعتبروا أن نور النبي ، وهدايته لم تنقطع عنهم.

صحح لغتك، أخطاء في اللغة العربية على ألسنة المثقفين

■ إعداد: الطاهر العروسي

■ جاء في كتاب بعنوان: "أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين لمؤلفه الدكتور أحمد مختار أن ماينطق به المتكلمون بالعربية ومايكتبونه يجد بعض الأخطاء التي شاعت على الألسنة والأقلام فما يدخل في باب الأوهام اللغوية، ومن بين هذه الأوهام الخلط بين جمع التكسير وجمع المؤنث السالم ، والمعروف أن جمع التكسير ينصب بالفتحة وجمع المؤنث السالم ينصب بالكسرة، لكن الخطأ يحدث عادة حين يعامل جمع المؤنث السالم معاملة جمع التكسير فينصب بالفتحة وحقه الكسرة وحين يعامل جمع التكسير معاملة جمع المؤنث السالم فينصب بالكسرة وحقه الفتحة في مثل قولهم: إن قضاتنا والصواب أن يقال: إن قضاتَنا وقولهم: انهم يصدرون أصوات وصحتها: أصواتا وقولهم: قضينا أوقات طيبة وصحتها: أوقاتا وقولهم ألقى علينا أبيات من الشعر وصحتها: أبياتا وقولهم: ألهم الله ولاتنا الخير والسداد، وصحته: وُلاتَنا، وهكذا ومن الأوهام اللغوية قولهم: نقلوا رُفَاتَ الضحايا من مكان الحادث، وصحته رُفَاتَ، وقولهم: خسرَ الفريقَ مباراتِه الأولى، وصحته مُبَارَاتَه، وقولهم: تحملتِ الجماهيرُ مُعَانَاةَ حربٍ قاسية، وصحته معاناةَ، وقولهم تعرفُ رجلُ الشرطة على آثار السارق وبصماته وقررَّ مُضا هاتِها بالآثار السابقة، والصواب مضاهاتَها وهكذا.

ومن بين الأوهام اللغوية: الخطأ في جمع المقصور جمع مذكر سالم، واللغة تقول في هذه الحال يُحذَفُ ألفُهُ ويَبقاءُ الفتحِ للدلالة عليها كما في قوله تعالى: وأنتمَ الأَعْلَوْنَ إن كنتمِ مُومنين، وقوله تعالى: وإنهم عندنا لمَنَ المصْطفَيْنَ الأخيار.

لكن البعض يخطئ عندما يقول: هم مستدعون للتشاور وصحتها مُسْتَدعَوْنَ، وعندما يقول: سيظل المتهمون مُسْتَبْقِين حتى تظهر براءتهم وصحتها: مُستَبْقَيْنَ وعندما يقول: بعد المعركة شوهد الجنود وهم مُلْقِونَ في ساحة الميدان: والصواب يقال مُلْقَوْنَ.

أولوا العزم من الرسل

■ الأستاذة: نبوية الناصري

■ قال (ﷺ) فيما رواه الإمام مسلم "إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم".

إني دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى ورؤيا أمي.

"أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وأنا أحمد، نبي الرحمة، ونبي التوبة" رواه الإمام أحمد.

نسبه الشريف:

خطب النبي (ﷺ) فقال: "أنا محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، ابن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. "ويقول علماء تاريخ الأنبياء عن نسب مابعد عدنان: "إن عدنان هو بن آو بن أود، بن اليشع، بن الهيسع، بن سلامان، بن ثابت، بن حمل، بن قيذار، بن إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام أبي العرب المستعربة. ثم ينتهي نسبه إلى نوح، ثم إلى إدريس، ثم إلى آدم، عليهم الصلاة والسلام.

وعبد الله: هو والد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وكان أصغر أولاد عبد المطلب وأحبهم، وهو الذبيح الثاني المفتدى بمائة من الإبل، وذلك أن عبد المطلب كان قد نذر حين لقي من قريش مالقي من حفر زمزم، لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة.

وإذا نظرنا إلى رسول الله (ﷺ) من ناحية والده وأسلافه ومن ناحية والدته وأخواله، فإننا نجدهم من أشرف بيوت مكة وأكرمها وأسماها خلقا وعراقة أصل.

عبد المطلب:

هو شيبة بن هاشم بن عبد مناف، جد رسول الله (ﷺ) وسمي شيبة لشيبة كانت في رأسه، وسمي عبد المطلب لأن المطلب عمه أردفه خلفه على بعيره حين دخل به مكة لأول مرة فظنته قريش عبدا له اشتراه، فقال لهم ويحكم! إنما هو ابن أخي هاشم. وقد ولد عبد المطلب بيثرب يتيما إذ مات أبوه هاشم بغزة بعد أن تزوج في طريقه بسلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، أما سلمى فقد ريته حتى صار غلاما، فسمع به عمه المطلب، فرحل في طلبه، وما أن رآه حتى فاضت عيناه، وضمه، وألح على أمه حتى قبلت أن تدعه له، وقد شرف عبد المطلب في قومه، وأقام بعد وفاة عمه لقومه ماكان آباؤه يقيمون، فأحبوه وعظم أمره بينهم، ويروى أن المطلب لما مات وثب نوفل أخوه على أركاح عبد المطلب فاستلبها منه، ولم يتدخل قرشي لنصرة عبد المطلب، فاستنصر أخواله من بني النجار بالمدينة، فسار إليه خاله أبو سعد بن عدى في ثمانين راكبا، فما نزلوا عن ركائبهم حتى ردت لعبد المطلب أركاحه، أما نوفل فقد حالف بني عبد شمس بن عبد مناف على بني هاشم بن عبد مناف، فحالفت خزاعة بني هاشم على نوفل وبني عبد شمس بدار الندوة، وهذا هو الحلف الذي كان سببا لفتح مكة. ولأن الرجل العظيم ترتبط حياته بعظائم الحوادث والأمور، فإن عبد المطلب ارتبط بحادثتي حفر بئر زمزم وموقعة الفيل قبل ميلاد النبي (ﷺ)، ثم ارتبط بعد ميلاده (ﷺ) يتيما بكفالته، وهو بعد في سنوات عمره الأولى، تعويضا له عن فقده لأبيه عبد الله أحب أبناء عبد المطلب إلى قلبه. وكان لعبد المطلب عشرة بنين وهم: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وعبد الله، وحمزة، وأبو لهب، والغيداق، والمقوم، وصفار، والعباس. كما كان له ست بنات، وهن: أم الحكيم. وهي البيضاء . وبرة، وعاتكة، وصفية، وأروى ، وأمية.

هاشم:

كان هاشم بن عبد مناف رجلا موسرا، وكانت له السقاية والرفادة . أي الإطعام . ويزعمون أنه كان يقوم في قريش إذا أتى الحجيج فيقول: يامعشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله، وحجاج بيته، وهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا لهم ماتصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التي لابد لهم من الإقامة بها، فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ماكلفتكموه. ويبدو أنه شمر عن ساعديه وأخذ يهشم الخبز ليصنع الثريد بنفسه، فسمى هاشما لكونه أول من فعل ذلك وكان اسمه من قبل عمرو. ولم تكن هذه هي سابقة هاشم الوحيدة التي سنها لقومه، إذ يروى أيضا أنه كان أول من سن لهم رحلتي الشتاء والصيف إلى الشام واليمن. وقد مر الرجل بالمدينة في طريقه إلى الشام

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا)

صدق الله العظيم

للتجارة في إحدى السنوات، فتزوج بها من سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار وأقام عندها، ثم تركها وارتحل فمات بغزة من أرض فلسطين. أما العروس الأرمل، فقد نبتت في رحمها بذرة هاشم التي أدركتها الأقدار قبل رحيله فغدت طفلا يتيما هو شيبة، الذي ما إن أصبح غلاما حتى علم بأمره أهله بمكة، فذهب إليه عمه المطلب ورده لقريش التي أطلقت عليه عبد المطلب. وكان لهاشم أربعة بنين وهم: أسد، وأبو صيفى، ونضلة، وعبد المطلب، وخمس بنات هن: الشفاء، وخالدة، وضعيفة، ورقدة، وجنة.

عبد مناف:

ومناف اسم الصنم الذي يقال له مناة، وأصل اسمه المغيرة، وأمه حي بنت خليل، آخر من ولي البيت من خزاعة، وكان قد رأس في زمن أبيه ولقب بعبد مناف، لأن أمه أخدمته صنما اسمه مناة، ثم إن أباه رآه يشبه عبد مناة بن كنانة فحوله عبد المناف.

ومما يذكر بالنسبة لعبد مناف: أن رسول الله (ﷺ) اقتصر عليه حين أنزل الله تعالى عليه قوله: (وأنذر عشيرتك الأقربين) فإنه حينما نزلت هذه الآية الكريمة واجتمع إليه بنو عبد مناف تلبية لندائه قال لهم:

"إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وأنتم الأقربون من قريش وإني لا أملك لكم من الله حظا، ولا من الآخرة نصيبا، إلا أن تقولوا: لاإله إلا الله، فأشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم بها العرب وتذل لكم بها العجم".

قصي:

هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وهو الملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة. تزوج حبى بنت حليل بن حبشة من خزاعة وإلى مكة، فأنجب منها أربعة نفر، وامرأتين: عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد قصى وتخمر وبرة. وقد جمع قصى قريشا وكنانة، ورأى أنهم أولى بولاية مكة والبيت العتيق من خزاعة، لأنهم أبناء إسماعيل، فقاتل بهم خزاعة حتى أجلاها عن مكة، ثم إنه قطعها رباعا بين قومه، وأنزلهم منازلهم، وأسس دار الندوة. برلمان قريش ومقر تشاورها وحكمها . وكان لقصي من مظاهر الرياسة والتشريف: رياسة دار الندوة، واللواء، فلا تعقد راية الحرب إلا بيديه، والحجابة فلا يفتح باب الكعبة ولا يلى خدمتها إلا هو، وسقاية الحاج، ورفادته . أي إطعامه ثم قسمت هذه المناصب بين ولديه عبد مناف وعبد الدار بعد وفاته.

مكة:

مكة... بلد الله الحرام، البلد الذي شرف بالكعبة، ومجد بذكره في القرآن، وطهر بأقدام الأنبياء وآثارهم، ذلك البلد الذي مع مكوثه في حضن الصحراء الموحشة الواسعة، إلا أنه ظل قبلة الوفود، وهوى الأفئدة على مر العصور. بسواعد إبراهيم وإسماعيل. عليهما السلام. شيدت الكعبة، وارتفع بنيانها عشرين قرنا قبل ميلاد المسيح. عليه السلام. وقد ولى أمر مكة بعد إسماعيل ولداه، نابت ثم قيدار، ثم ولى أمرها بعدهما جدهما مضاض بن عمرو الجرهمي، فلم يبق لأولاد إسماعيل من الحكم شيء، خلا مركز محترم لمكانتهم. واستمر حكم جرهم لمكة واحدا وعشرين قرنا من الزمان، غير أنهم ضاقت أحوالهم، وساء أمرهم، فظلموا الوافدين إلى مكة، واستحلوا مال الكعبة، حتى أدركت خزاعة ذلك، وعلمت مابينهم وبين العدنانيين. أولاد إسماعيل. من الغيظ، فتحالفت مع بني بكر. وهم بطن من بطون عدنان. حتى أجلوا جرهم عن مكة، ثم استبدت خزاعة بالأمر فحكموا مكة ثلاثمائة سنة، وجاء رجل هو قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى القرشي فتزوج حبى بنت حليل بن حبشة من خزاعة، وكان واليا على مكة، حتى إذا مات حموه، قاتل خزاعة قتالا شديدا. وقد انضمت إليه قريش وكنانة، حتى دان له الأمر بمكة، فجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وأنزل كل قوم من قريش منازلهم التي أصبحوا عليها. ومن مآثره أنه أسس دار الندوة، التي كانت مجمع قريش، تفصل فيها مهام أمورها، وتقضى فيها بالحسنى كبار مشكلاتها. وظل أمر مكة إلى قريش، التي امتازت بالرياسة الدينية، والشرف الدنيوي لذلك حتى بعثة النبي (ﷺ).

خلوات وخواطر

■ محمد الخضر الريسوني

خزانة الحكمة ودار العلم في بغداد ومصير حضارة...

■ اجتاحت قوات الغزو مدينة بغداد بين عشية وضحاها فاستباحت مراكزها الحضارية ومكتباتها العامرة ومتاحفها، وتمت سرقة كل نادر وثمين، هذا بينما العالم وخاصة منظمة اليونسكو لم تحرك ساكنا ،اكتفت بإعلان أسفها لما حدث بغاية الخجل والاحتشام ومن مكتباتها المحروقة " مكتبة المنصور" التي توجد بها نسخة من القرآن الكريم مكتوبة بخط سيدنا علي كرم الله وجهه .

حضارة الاسلام في بغداد كانت كالشجرة الوارفة الضلال ، حضارة العلم والثقافة ، ومن منشآتها العظيمة " خزانة الحكمة" التي أنشأها علي بن يحيى المنجم في ضيعة له بقرب من بغداد ، ويروي ياقوت أن الناس كانوا يقصدونها من كل بلد، يتعلمون منها ألوانا من العلم وضروبا من المعرفة، والكتب مبذولة لهم ، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة في كل ذلك من مال " على ابن يحيى".

ومع خزانة الحكمة" أنشأ أبو القاسم جعفر بن محمد ابن حمدان الموصلي دار العلم التي جعل فيها خزانة كتب ، وقفها على كل طالب علم، وإذا جاءها غريب فقير أعطاه صاحب الدار ورقا ومالا .

أما بيت الحكمة فقد أنشأه هارون الرشيد ووصل النشاط فيه ذروته في عهد المامون حيث نشطت الترجمة لنقل العلوم من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية وكان الرشيد قد نقل إليها ماوجده من كتب في انقرة وعمورية ببلاد الروم، وقلد : يوحنابي ماسويه للإشراف على هذه المكتبة التي بلغت أوجها في عصر المأمون، لقد كانت بمثابة مركز علمي ممتاز شمل علوم الطب والفلسفة والحكمة، وكان المأمون مثال الخليفة العالم الذي يهب العلم وقته ورعايته ، يعطف على العلماء ويزين بهم مجالسه ، ويغدق عليهم ، قيل إنه كان أحيانا يدفع وزن ما يترجم ذهبا، بل أنه كان أول من نادى بأن لا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء فهيأ للعلماء أرزاقا يتقاضونها من أوقاف ثابتة.

يروي المؤرخ " بلنتون" الكثير عن مراكز العلم الحضارية الاسلامية والمكتبات فيقول : كان البناء مزودا بحجرات متعددة تربطها أروقة فسيحة وكانت الرفوف مثبتة بالجدران لتوضع فيها الكتب ، وكانت تخصص بعض الأروقة للاطلاع ، كما تخصص أماكن للنسخ ، وأخرى لعقد حلقات الدراسة والمناظرة ، ويروى مؤرخون أن ثمة حجرات مخصصة للموسيقى ، يلجأ إليها المطالعون للترفيه وتجد يد النشاط، وكانت جميع الحجرات فاخرة الأثاث والرياش وقد فرشت الأرض بالأبسطة وأرخيت على النوافذ والأبواب الستار الجميلة، وثمة ستارة سميكة تغطي المدخل، حى تحول دون دخول تيارات الهواء البارد في الشتاء.

تلك كانت بغداد في عصرها الذهبي الزاهرقبل أن يجتاحها المغول في ذلك الزمان وجاءت اليوم جيوش الغزو من وراء البحار وفي نيتها طمس تلك المعالم، وحجب نور الحضارة الإسلامية في العراق عن العالم ، حتى لكأن التاريخ بعيد نفسه.

صفات الداعية وأخلاقه وسر نجاح دعوته

■ إعداد الدكتور: محمد باقشيش أبو مالك

■ إن من أبرز سمات خيرية هذه الأمة ومافضلت به على الأمم السابقة القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وإن مقام الدعوة إلى الله مقام منيف، ومنصب شريف، لا يرقى إليه إلا أولو العزم من الدعاة.

وإذا كان موضوع محاضرتنا هذه سيقتصر على ما ينبغي أن يكون عليه الداعي إلى الله عز وجل وأبرز مواصفاته ومميزاته، والإلماع لبعض الخصال المعيقة للدعوة عند بعض الدعاة المعاقين. يجدر بنا أولا أن نعرض ولو بإيجاز لحكم الدعوة في ذاتها، وبيان مايدعى إليه، وبيان أساليبها وكيفية أدائها.

. أما حكمها: فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى، وأنها من أولويات الفرائض، من ذلك قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)، ومنها قوله عز وجل: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن). ومنها قوله:(قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)، وهذه كلها أوامر طلبية جازمة موجهة إلى الرسول (ص) وأتباعه من أمته للقيام بعبادة الدعوة حسب القانون الدعوي الذي رسمه الله عزوجل في هذه الآيات وغيرها، بحيث يجب على كل من انضوى تحت لواء الدعوة أن يترسم فيه خطى أول الدعاة وأفضلهم ويتأسى به في منهجه، إن أراد لدعوته النجاح والسداد، وإلى هذا يرمي قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا).

وقد صرح العلماء أن الدعوة إلى الله تعالى فرض على الكفاية، والمقصود الدعوة العامة الشاملة لجميع مناحي التعليم والتربية والعظة، فإذا قام في كل قطر من الأقطار الإسلامية من يكفي من الدعاة الأكفاء بنشاطهم ومهمتهم سقط ذلك الفرض عن الباقين، وصارت الدعوة في حقهم سنة مؤكدة وعملا صالحا جليلا.

وأما أدلة السنة فمن ذلك قوله (ﷺ): "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا" وقوله (ص): "من دل على خير فله مثل أجر فاعله". وقال أيضا: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا"وقال (ﷺ) لعلي (رضي الله عنه): "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم".

وخطب أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الناس يوما، فقال: "ياأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير مواضعها: (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وإنا سمعنا رسول الله (ﷺ) يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب".

وكفى فضلا لمن استنار عقله ووجدانه بتلك الآيات، وهذه الأحاديث أن يكون من المعنيين بقوله تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين). وهذا تنويه إلهي بالدعاة وثناء عليهم وأنه لا أحد أحسن قولا منهم.

وأما ما يدعي إليه في حقل الدعوة ويجب على الدعاة أن يوضحوه للناس أحسن توضيح كما وضحه الرسول (ﷺ) والرسل قبله عليهم السلام فهو الدعوة إلى محض الإسلام وهو دين الله الحق، وإلى الصراط المستقيم والنهج القويم، هذا هو محل الدعوة، كما قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك) فسبيل الرب عز وجل هو الإسلام والدين والصراط المستقيم الذي بعث به نبينا محمد (ﷺ)، هذا هو الذي تجب الدعوة إليه لا إلى مذهب فلان أو إلى رأي فلان أو إلى حزب فلان، ولكن إلى دين الله الذي ارتضاه لنبيه ولأمته، وعلى هذا دل القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة عن الرسول (ﷺ).

وليكن أول ما يدعو إليه الداعي في دعوته: معاني لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله بالبيان الصحيح والقول الرجيح فيهما، إذ هما أساس العقيدة الصحيحة والإخلاص لله وتوحيده بالعبادة والإيمان اليقيني به وبرسله وبكل ما أخبر به الله ورسوله ومايرتبط بذلك من الغيبيات وغير المدروكات، هذا بالإضافة إلى العبادات العملية والمعاملات المصالحية والاجتماعية، والنظم الإسلامية والمكارم الأخلاقية.

وهذه المناحي الشاملة لمدلول الشهادتين تؤوب بنا في النهاية أن الدعوة إنما هي إقامة للدين والدنيا على أساس متين من هدي الكتاب والسنة، ومنهج واضح مستمد منهما، لتبصير الناس بالحق المبين، ومن ثم يكون المقصود من الدعوة والهدف منها هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشادهم إلى الحق بالحق حتى يأخذوا به، وإخراج الكافر من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل إلى نور العلم، والعاصي من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة والقابع في ظلمة الشبهات والشهوات إلى نور اليقين والطهارة، هذا هو المقصود من الدعوة أيها الدعاة لعلكم تعقلون.

وأما كيفية الدعوة إلى الله وأسلوبها، فقد أجمل الله عز وجل أصول ذلك في آيات عدة، ومن أوضحها، قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن). وهذا إرشاد إلهي إلى الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية ويسلكها، ويمكن اعتبار ذلك أسس الأسلوب الدعوي الناجح:

1. أن يكون بالحكمة: والحكمة هي التصرف الحسن ووضع الشيء في نصابه ومحله اللائق به بالأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق والداحضة للباطل، وقد فسرت الحكمة . عند بعض المفسرين . بالقرآن، وهو كذلك، فإنه الحكمة العظيمة لما فيه من البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه وأقنع دليل، وفسرت أيضا بالسنة وقد سماها الله كذلك كما قال الله تعالى:(ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني السنة، وقال تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) بل الحكمة تطلق على أوسع من هذا، فتطلق على النبوة، وعلى العلم والفقه في الدين وعلى العقل وعلى الورع، وهي أيضا الدعوة إلى الله بالعلم وبالبصيرة، كما في قوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني...).

2. أن يكون بالموعظة: والموعظة هي القول المؤثر في النفس والوجدان، ولا يكفي أن تكون كذلك حتى تكون حسنة، أي أنها موضوعة في إطارها الصحيح، مع الإحسان في التأثير بها على الأنفس بإصابة الحق والقول بالصواب من خلال جلب الآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب، لأن النفوس قد تتأثر بالباطل وتنفعل مع الخطأ، والدعوة بالعظة تكون في الغالب لصقل القلوب وشحذ الهمم وتنشيط الجوارح على العمل والاستقامة، أو لمن ظهر منه بعض جفاء أو جفوف في الإيمان، أو الاعتراض على بعض الشرع بالرأي والعقل.

3. أن يكون بالمجادلة بالتي هي أحسن، وفي هذا الأسلوب القرآني بيان أن الداعي يجب عليه أن يستعمل أقصى وسائل الإحسان في الجدال والمناظرة ويستنفذ في الموضوع المحدد معظم الأدلة النصية أو الظاهرة والحجج الواضحة الملزمة وطرحها لمن عنده شبهات وهو يجادله بأسلوب سلس وحوار هادئ ونفس طويل وصبر جميل، دون اللجوء إلى الغلظة والعنف والتشنج والعجلة في التقويم والتصنيف والحكم، بل يجتهد وسعه في كشف الشبهات وإيضاح الأدلة بالأسلوب الأحسن، وهذا أقرب إلى الانتفاع بالحق وقبوله وتأثر المدعو به، ولو لم يكن هذا الأسلوب مطلوبا من الدعاة لما أمر الله موسى وهارون عليهما السلام سلوكه مع أطغى الطغاة وأكفر الخلق في زمانهما: فرعون مصر، فقال تعالى عند بعثهما إليه: (اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى). مع أنه في علم الله الأزلي أن فرعون لن يتذكر ولن يخشى بأي أسلوب مؤثر كان، ومع ذلك فقد أمرهما الله عز وجل باللين في الدعوة له وهو أحسن أسلوب للتفاهم. فعلم أن الجدال بالتي هي أحسن والدعوة باللين مقصودة لذاتها بأمر الله لا من أجل المدعوين فحسب، وقال تعالى لنبيه محمد (ص):(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)فإبراز اللين في الدعوة وطمس معالم الفظاظة والغلظة هو الأسلوب الحكيم والطريق المستقيم في دعوة المدعوين، والداعي يكون فيها حكيما بصيرا بأسلوبها مطمئنا إلى النجاح فيها رحمة من الله في سلكها.

4 أما كيف يكون الداعية أو ما هي الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية على كل حال فينبغي أن يعلم أولا . في إطاره العام. أن الدعاة هم حملة النور الذي جاء به سيد الثقلين (ﷺ)، لهم سمات خاصة، وصفات يتميزون بها عن غيرهم من الناس، ذلك أنهم الهداة إلى الله، والدعاة إلى كلمته، والقوامون على دينه، والذائدون عن حرماته، والواقفون على مفترق الطرق يرشدون الحيارى ويبصرونهم أعلام الطريق الحق، وهم الذين يبلغون رسالة الله، للعي والجاهل، اصطفاهم لحمل أمانته ودعوة الخلق للحق، وهذا منصب شريف منيف، وحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولايكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، وليعلم الدعاة أيضا إلى من يدعون في دعوتهم؟ وليوقنوا أنهم مسؤولون غدا وموقوفون بين يدي الله.

وإذا كان الأمر بهذا المشهد فإن ثمة صفات وآدابا وأخلاقا لابد أن يتجللها الداعي إلى الله ويتسربل بها باطنا وظاهرا، وينزع عن خلال مشينة تعيق مسيرة الدعوة وتشوه جمالها وتكدر صورتها الصافية الواضحة.

وهذه الصفات والأخلاق إنما هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في القرآن الكريم وبينها رسول الله (ﷺ) في الحديث الشريف، وانصبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم، وهي لازمة لكل مسلم، وللداعية هي ألزم، وما عليه إلا أن يعرض نفسه عليها ويزن نفسه في ميزانها ليعلم ماعنده منها، وما لم يصل إليه بعد من كريمها.

نماذج من شعراء طنجة

عرض وتحليل 2/3

■ إعداد الأستاذ: محمد مصطفى الريسوني
هيئة المحامين. طنجة

أولا : الشاعر المرحوم عبد الغني السكيرج

يقول الدكتور محمد الكتاني عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان عن شاعرية الأستاذ عبد الغني سكيرج في مقدمة ديوانه حب الحصيد» والواقع أننا نقرأ الشعر السياسي أو الوطني في هذا الديوان فنحس بصدق العاطفة ، والقدرة على التصوير، والتحرر من التقليد والترديد اللذين طبعا كثيرا من شعر الشعراء في هذه المرحلة ، بل نجد شاعرا متمكنا من أداة التعبير، متصرفا فيها على قدر ما يجيش به وجدانه من انفعالات، سرعان ما تتحول إلى صور لم تزل تحتفظ إلى اليوم بعبقها وحرارتها، ولاسيما قصيدة(يوم كعيدك) التي تطفح بالشوق والتطلع إلى يوم الخلاص من الاستعمار».

والشاعر عبد الغني سكيرج من أسرة معروفة بالآداب، والفقه وقول القريض، فعمه هو العلامة الأديب الشاعر المرحوم أحمد سكيرج والأديب عبد الكريم سكيرج من مشاهير شعراء الشباب في المغرب في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن.

وشاعرنا من مواليد سنة 1917 بمدينة فاس ، يوم كانت الحرب العالمية الأولى على أشدها وقد مر عليها ثلاث سنوات، أدخله والده. حسب العادة المتبعة. الكتاب القرآني، أتم حفظ القرآن بمدينة الجديدة التي انتقل إليها والده صحبة أخيه العلامة القاضي الشيخ أحمد سكيرج، حيث أخذ يشتغل معه كموثق وناسخ رسوم ، ولكنه عاد إلى فاس لما رأى أن في عمله شكا وريبة من لقمة العيش الحلال التي كان يأخذ أجرته عليها.

وفي مدينة فاس أدخله والده لدار الصنعة جريا على العادة المتبعة عند أهل فاس في تربية أبنائهم يومذاك فيقولون:«إما عالم وإما صانع، ونظرا لضيق يد الوالد وضعف موارده فقد ارتأى أن يدخل الأبناء الكبار إلى تعلم الصنعة، وكاد شاعرنا أن يتخرج كصانع مجاديل حريرية ومناطق ذهبية ، لولا العناية الربانية التي حفزت بعمه العلامة المؤرخ الشيخ محمد (فتحا) سكيرج صاحب كتاب« رياض البهجة في أخبار طنجة، حيث زار بعض أهله فاصطحبه معه لطنجة سنة 1930.

وفي هذه المدينة ، بدأ يتلقى أول درس في علمي العروض والقوافي حيث كان يحضر هذا الدرس جمع غفير من الطلبة ، لازال منهم حيا: الشريف سيدي سعيد العمراني محتسب طنجة سابقا، والعدل الموثق الخطيب سيدي محمد الزرهوني، والعدل الموثق الخطيب سيدي أحمد بوسلهام ، وكالعادة آنذاك فقد عاد شاعرنا إلى فاس مرة أخرى ، ولكن بصفته طالبا في جامعة القرويين حيث انخرط في سلك طلبتها سنة 1932.

وبعد ارتوائه من ضروب المعرفة بالقرويين انخرط الأستاذ عبد الغني سكيرج في سلك التعليم الرسمي سنة 1941 حيث عين مدرسا بابتدائية ثانوية مولاي يوسف حيث كتب له أن يلتقي بجهابذة العلم والوطنية من أمثال الفقيه غازي، والمجاهد أبي بكر القادري والأستاذ أبي بكر زنيبر وفي سنة 1943 انتقل إلى فاس حيث عمل بها إلى سنة 1946 حيث نقل إلى مدينة طنجة إثر شجار وقع له مع المدير الفرنسي للمدرسة التي كان يعمل بها نتيجة وطنيته وغيرته ،. ونجد أثر ذلك في قصيدتيه 1) الشرف والحماية 2) أيها البحر.

ومنذ سنة 1946 وهو يشتغل بمهنة التعليم والتدريس والأستاذية إلى حين وصوله سن التقاعد.

وفي هذه المدينة قال أكثر شعره ، سواء ما نشر في الديوان أو ما لم ينشر مجموعا ونشر في مختلف الجرائد والمجلات.

ويمكن القول إن الشاعر سكيرج قد بدأ حياته الشاعرية مبكرا وهو في العشرين من عمره فقد جاء في مطلع قصيدة بعث بها سنة 1357 هجرية إلى عمه العلامة الشيخ أحمد سكيرج.

طال المسير وبعض السير مغتفر
إن كان آخره النجاة والظفر

وعندما كان يدرس بجامعة القرويين قال قصيدة في الغزل ، كانت تتلى على ألسنة الطلبة ، فبلغ علمها المجلس العلمي الذي قرر محاكمة صاحبها عبد الغني سكيرج غير أن شاعرنا تخلص من هذه المحاكمة بحيلة أنه لن يستطيع قول القريض، وهو لازال في الطور الاتبتدائي الذي لا تدرس فيه مادة العروض ، وقد قبل المجلس العلمي آنذاك هذا الدفاع ونجا صاحبنا من العقاب.

وحياة الأستاذ سكيرج الشاعرية حياة واقعية ، بحيث لا يقول الشعر إلا إذا تأثر تأثرا شديدا ، ونجد أثر ذلك في شعره ، فقد قال في مطلع قصيدة بعنوان « هي النفس تأبى العيش» وذلك بمناسبة أحداث فاس سنة 1932 :

هي النفس تأبى العيش عيش مذلة
وتحب أن الموت في العز أطيب

وقال في قصيدة أخرى إثر إعلان الحرب العربية الإسرائيلية سنة 1948 :

آن للسيف أن يقول فقالا
عادلا في الذي عن الحق مالا

وقال في رثاء العلامة سيدي عبد الله كنون الحسني قصيدة مطلعها: لم يبق بعدك من أرثيه...

وشاعرنا مجيد في شعره لا يطيل القصيدة، وقد صدق الأستاذ أحمد زياد فيه عندما قال:« رأينا في عبد الغني سكيرج معروف ، وهو أن الرجل لا يضع اللفظة في مكانها إلا بعد أن يتذوقها».

وقد لقي ديوانه المطبوع « حب الحصيد» عناية خاصة وقدمت حوله أطروحة لنيل الإجازة من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بتطوان ، تحت عنوان :« دراسة في حب الحصيد » سنة 1987 . 1988 للأستاذة زينب الركالة. وللشاعر ديوان مطبوع هو ديوان:1) « حب الحصيد . 2) كتاب مطبوع « هؤلاء عرفتهم » طبع بطنجة سنة 1989. وله كتب ودواوين جاهزة للطبع هي:

1) تجربتي الشعرية
2) من حديث الشعر والنثر. وهو عبار عن 40 مقالة أذيعت من محطة إذاعة طنجة الوطنية.
3) الروض المتآرج ، في تراجم بعض آل سكيرج.
4) أحسن ما قرأت من طرائف الشعر والنثر.
5) بيت القصيد . وهو عبارة عن حلقات دراسية.
6) سبتة أو غادة الشمال.
7) أقطاب الحركة العلمية بالمغرب. الشيخ أحمد سكيرج.
8) 32 سنة في التعليم، أو معركة الوظيفة.
9) خمسة عشر يوما بالاتحاد السوفياتي ، وأخرى في سويسرا.

وللأديب سكيرج عدة مقالات ومحاضرات وأبحاث علمية وفنية وأدبية بعضها منشور والآخر لا زال ينتظر.

نماذج من شعره:

قصيدة: شرور

عدت للنفس، أسأل النفس ، يا
نفس، علام الأسى، وفيم البكاء؟
هذه الأرض بهجة لمآسيك
سلوا ، ونفحة ورواء
لك في كل مطمح ، تمرح العين
حواليه، نغمة ورخاء
ولك الكون فيه مجلى رحيب
مستراح من الأسى وعزاء
فانعمي بالربى ، إذا عبق الزهر
وطافت بعطره الأنداء
وامرحي في الدجى ، وإن كان يضني
فنجوم الدجى لديك ضياء
واغمري الكون بالغناء ، إذا ما.
صدح الطير ، أو شدت ورقاء
وتعالي إلى الخميلة ، ننساب
طيورا، تحفنا الأجواء
ننعم الدفء والوداد ، ونحيا
تحت سقف، ابناؤه أصفياء
نرمق الفجر ، عند معترك الليل
تعالى، يشع منه الضياء
يتمشى الجمال والنور في فوديه
يسري ، قد ألهبته ذكاء
حيث تحنو جحافل الريح في الدو.
تحث المسير ، وهي رخاء
خطرت كالغزال ، في مشية الصمت
تخطى ، لخطوه أصغاء
يتقي الشر أن يصادم جنبيه،
له صولة .. وفيه ارعواء

والخلاصة أننا نجد أنفسنا ونحن نتذوق منظوم الشاعر سكيرج أمام شاعر قوي التعبير، مخلص المشاعر ، ذواق للكلمة ينساب شعره في النفوس كما ينساب الماء العذب البارد في حر الصيف.

البريد الإسلامي بالشرق والغرب يأتي بما تستقر عليه الأخبار

■ إعداد الأستاذ : عثمان بن خضراء

■ البريد لفظة ذات دلالات ومعان، فهي تطلق على مسافة معلومة مقدرة بأثنى عشر ميلا . وتطلق على الرسل الذين ينتقلون على دواب البريد وجمعها برد . كما تطلق على الدواب المستعملة لغرض الإرسال . ولم يختلف تقدير الفقهاء وعلماء المسالك والممالك عن المعنى اللغوي لهذه اللفظة . فقدره الفقهاء أيضا بأربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال . ولذلك علاقة بقصر الصلاة.

فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: « لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة برد، أي ستة عشر فرسخا وهو ما يساوي ثمانية وأربعين ميلا .

وقد أختلف في أصله فقال الخليل بن أحمد « إنه عربي لأنه مشتق من بردت الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه . وقيل مشتق من أبردته إذا أرسلته، وقيل أيضا من برد، إذا اثبت لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار.

يقال : اليوم يوم بارد سمومه أي ثابت.

أما الشعوبيون من القدماء، المتحدثين فقد ذهبوا إلى أن أصل البريد فارسي وحجتهم انه مشتق من« بريده دم» أي مقصوص الذنب. ولا ندري لم تكون لفظة بريد مشتقة من بريده دم، ولا تكون بريده دم « هي المأخوذة من بريد ، وتخشى أن نجد كل مفردات العربية قد أصبحت أعجمية . كما أرادوا أن يوجدوا في القرآن الكريم ألفاظا غير عربية ، فتصدى للرد عليهم العالم أبو قاسم بن سلام فأثبت في رسالة له أن كل ألفاظ القرآن الكريم عربية خالصة وتتبع أصلها في لغة القبائل العربية وأكد أن وجودها في لغات أخرى لا يعني أبدا أنها ليست عربية . ألم يسمع هؤلاء قول امرؤ القيس:

على كل مقصوص الذنابي معاود بريد السري بالليل من خيل بربرا؟

وقول مزرد يمدح عرابة الأوسي:

فدتك ، عراب اليوم أمي وخالتي وناقتي الناجي إليك بريدها

يريد سيرها في البريد.

وكما اختلفوا في أصل البريد في أول من وضعه ، فنسبوا شرف ذلك إلى الفرس والروم ، مع أن أبسط القبائل تحضرا تعرف البريد والرسل ولكن بطريقة بسيطة بعيدا عن تعقيد الحضارة.

ولما جاء الإسلام كان من الطبيعي جدا أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم رسل إلى القبائل وإلى الدول المجاورة ، وطبيعي أيضا أن يتلقى رسلا ولذلك قال عليه السلام: « إذا أبردتم إلي بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الإسم، كما قال أيضا عليه الصلاة والسلام:«أحبس بالعهد ولا أحبس البرد» أي لا أنقض العهد ولا أحبس الرسل الواردين علي .

ويقول الباحث جاسر أبو صفية أن أول من وضعه معاوية بن أبي سفيان ثم يقول وهذا غير ثابت تاريخيا، وكل ما فعله معاوية رضي الله عنه هو عملية تنظيم للبريد على أسس ثابتة حسبما تقتضيه طبيعة تطور المجتمعات، ثم جاء عبد الملك بن مروان فنظمه تنظيما أدق وصوره وظل معمولا به حتى العصر العباسي، ويبلغ من أهمية البريد عند عبد الملك ابن مروان أن أمر حاجبيه بإدخال البريد عليه في أي ساعة من ليل أو نهار فقال له:« وليتك ما حضر بابي إلا أربعة : المؤذن فإنه داعي الله تعالى فلا حجاب عليه.

وطارق ليل فشر ما أتى به ولو وجد خيرا لنام

والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه ، فربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة.

والطعام إذا أدرك فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول ولم تظل مسافة البريد بين المركز والمركز ثابتة ، بل اضطرت الدولة نظرا لظروف طبيعية إلى تغيير المسافة حيث تتفاوت من مركز لآخر. فنجد أحيانا أن المسافة بين مركز وآخر مقدار بريدين، وأحيانا مقدار بريد ولذلك لبعد الماء أو للأنس بقربه ، وفي هذه المراكز يتم تغيير الخيل والبغال المعدة للبريد ، كما يستريح الراكب أو الرسول قبل متابعة السير إلى المحطة التالية

وكان يطلق على الرجل الذي يتولى الإشراف على البريد « صاحب البريد» ينفذ ما يصدر عن الخلفاء ويتلقى ما يرد إليهم ، وقد توسعت دائرة اختصاص صاحب البريد في الدولة الأموية، فصار ديوان البريد أشبه بدائرة رسمية يتولى صاحبها الرقابة على العمال والولاة ورفع تقرير عنهم إلى الخليفة أو الوالي ، إلى جانب مهمته الأساسية وهي الإشراف على الرسائل الرسمية ، وغير الرسمية . يثبت ذلك جاسر أبو صفية في الرسالة التالية التي أرسلها الوالي قرة بن شريك والي مصر في عهد الوليد ابن عبد الملك إلى صاحب اشقوه، منطقة في الفيوم يقول فيها « من قرة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن القاسم بن سيار صاحب البريد ذكر لي أنك أخذت قرى في أرض بالذي عليهم من الجزية ، فإذا جاءك كتابي هذا فلا تعترض أحدا منهم بشيء حتى أحدث إليك فيهم إن شاء الله والسلام على من اتبع الهدى»

فهذا يثبت دور صاحب البريد في مراقبة العمال خوفا من إيقاع الظلم على الرعية بإجبارهم على دفع الجزية دون مراجعة الوالي،

ولم تقتصر وظيفة البريد على ذكر ، بل كان يستعمل أيضا في نقل الركاب من قطر لآخر ، ونقل المجرمين أو الأسرى ، كما نجد الرسالة التالية:

« بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن عطاء الله إلى صاحب بريد أشمون ، فاحمل هشاما رسولي على دابتين من البريد.»

وقد كان البريد يتأثر بما تمر به الدولة من استقرار أو اضطراب ، فنراه نشط في الاستقرار ، وأحيانا في الاضطرابات ، ولكن كثيرا ما كان يتعطل في الثورات والفتن التي تقوم ضد الدولة الحاكة فينقطع الاتصال بين حواضر الدولة الإسلامية لفترة ، ليعود بعدها إلى سابق عهده ، وقد حدث هذا في أواخر الدولة الأموية عندما قامت الفتن في خراسان والعراق وانقطعت الاتصالات بين القطرين وكثيرا ما كان يتعطل البريد في عهد بني بويه يقول الباحث جاسر أبو صفية ، ليخفوا تحركاتهم عن الخليفة في بغداد.

لقد عرف المغرب أول محاولة لإقامة بريد منتظم بالمغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على شكل مكاتب بريدية أجنبية أقيمت بتشجيع من سلطات الدولة التابعة لها. وإذا كان عملها علانية يتمثل في تأمين نقل البريد الذي لم يكن معروفا لدى المغاربة إلا بشكله الرسمي وفي صورة « رقاصين » أي مبعثين خصوصيين أو باستخدام القوافل التجارية أو الموسمية وبالأساس كذلك لخدمة مصالح دولها وأطماعها على حساب تفكيك وحدة المغرب باسم الحضارة والحداثة، وهذه المكاتب هي

. المكاتب الفرنسية بالمغرب أحدثت سنة 1855

. المكاتب الإسبانية بالمغرب أحدثت سنة 1865

. المكاتب الأنجليزية بالمغرب أحدثت سنة 1872

. المكاتب الألمانية بالمغرب أحدثت سنة 1899

كما قامت هذه المكاتب بإصدار مجموعة من طوابع البريد الخاصة بنقل الرسائل داخل المغرب وخارجه ، وهي عبارة عن طوابع وطنية لتلك الدول تطبع فوقها كلمة المغرب بالعجمية وقيمتها الإسمية المحلية

وحين وصل خبر ذلك إلى السلطان مولاي الحسن الأول اغتاظ لهذا الأمر وأصدر أمره إلى وزيره في البحر (الخارجية) السيد محمد بركاش الذي كانت إقامته بطنجة 1296 . 1879 ليضع حدا لتلك المكاتب باعتبارها غير شرعية، ولكي لا يفسح المجال أمام أطماع الأجانب عكفت السلطات على تنظيم البريد (البوسطة) بالمغرب حسب ما تمليه المصلحة العليا للبلاد ظهور أول خط منتظم للبريد المخزني لنقل البريد بين مدينتين مغربيتين سنة 1891 يربط بين الجديدة ومراكش على يد المسيو ابرودوا ابن نائب القنصل آنذاك في مدينة الجديدة وحين علم السلطان الحسن الأول بذلك سارع بإحداث خدمة بريدية تجريبية على نفس المحور. وطلب من أمناء المستفادات (الرسوم على تجارة الأسواق) الجديدة ومراكش بخلق البريد نيابة عن المخزن متطلعا بذلك إلى فتح المغرب أمام العالم الحديث ، وواضعا حدا لكل تدخل أجنبي يمكن أن يمس بسيادة المغرب واستقلاله.

وقد نجحت هذه التجربة ووقع تعميم البريد المخزني المنتظم على مجموع المدن المغربية بأمر سلطاني مختوم في يوم 2 جمادى الأولى 1310 الموافق 22 نوفنبر 1892 كما تضمن الأمر السلطاني كيفية عمل البريد بكل تفاصيله، وهكذا أحدث في كل مدينة مكاتب الإياب (للرسائل الصادرة) ومكاتب الورود (للرسائل الواردة) وجعل لكل مدينة طابعين (الختم المخزني) لتمييز بريدها عن باقي المدن يختم بواحد منهما على المظروف والآخر تختم به شكارة (كيس جلدي) " الرقاص" عملية نقل الرسائل بين المدن . ومنع عليه أن يحمل رسائل أخرى غير تلك التي يتضمنها كيسه تحت طائلة العقاب إن هو تجاوز هذا الأمر.

كما حددت أوزان الرسائل والأجور المطبقة عليها ، كما طلب إلى أمناء جميع المدن إعداد كشف دوري لحساباتهم كل ستة أشهر يوجهونها إلى الحضرة الشريفة وقد سار العمل بهذه الطريقة في البريد المخزني مع إصلاحات أدخلت عليه أيام السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى حين إدماجه مع شركة تلغرافات المغرب سنة 1911. أما الأختام المخزنية فلم يقع سحبها إلا بعد ظهور أول طابع بريد مغربي يوم 25 ماي 1912 وصدر أول طابع مغربي عن إدارة البريد المخزني بتاريخ 22 ماي 1911 وهو طابع من الحجم الصغير مرسوم على واجهته قوس وبداخله جامع عيساوة بطنجة.

منذ ذلك الحين استعيض عن استخدام الأختام المخزنية وسحبت هذه الأخيرة من الخدمة نهائيا سنة 1913.

لقد كان السلطان مولاي عبد الحفيظ أمر بإعادة تنظيم البريد المخزني وذلك باعتماد أساليب أكثر حداثة في التسيير ، واستخدام ما أصبح متوفرا من وسائلا النقل الجديد لترحيل البريد بين المدن يسمح بتخفيض مدة النقل ويجعل من خدمة البريد عملية منتظمة، وفي مارس من سنة 1917 أدمج البريد المخزني مع خدمات التلغراف التي سبق أن أوجدتها الشركة المغربية الشريفة للتلغراف سنة 1907.

ولما كان البريد من السيادة الوطنية التي يغار عليها المغرب، فإنه عند توقيع الاتفاقية المغربية الفرنسية 1 أكتوبر 1913 ظل المخزن متعلقا بمبدأ متابعة إشرافه المباشر على الإدارة الفرنسية المكلفة بالبريد والتلغراف بالمغرب وقد كان له ما أراد، وعلى هذا الأساس أحدث المكتب المغربي للبريد والتلغراف والتلفون الذي كان من اختصاصه أيضا البث الإذاعي.

وطبق نفس المبدأ على منطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب حيث أحدثت مصلحة البريد المغربي التي كانت تقع تحت الإشراف المباشر لخليفة السلطان بتلك المنطقة عند استقلال المغرب سنة 1956 وأخيرا أعيد إدماج المصالح البريدية بمجموع أقاليم المملكة وأحدثت وزارة البريد والتلغراف والتليفون وأسندت آنذاك مهام البث الإذاعي لوزارة الإعلام.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1026
السنة 36
الجمعة 27 ربيع الثاني 1424 هـ
الموافق 27 يونيو 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1026 الجمعة 27 ربيع الثاني 1424 هـ .الموافق 27 يونيو 2003م

نص العقد الذي باع به فقيه نفسه لله

■ ميمون بن علي ابن خبازة الخطابي: ت 637 هـ بسلا

■ « يقول العبد الذي اعترف ، بما اقترف، لمولاه ، وأقر له بما أضاعه، لا بما أطاعه ، على ما منحه من النعم وأولاده، الميمون ابن علي بن عبد الخالق الخطابي جبر الله بالتقوى كسره ، وفك من حبائل الدنيا أسره ، لم أزل مدة أيام ، بل عدة أعوام، أخالل كل مخل بديني ، واستظل من إطالة البطالة بكل ظل مضل يرديني ، وأخالف كل صالح مصلح، وأحالف كل طالح غير مفلح، وأجر أذيال المجون على أرض الراحة، وأطلق عنان مهر الغفلة في ميدان النسيان فيطيل جماحه ومراحه، راكبا مطايا التسويف دون إهمال، مستوطنا فرش الكسل والانهماك في الشهوات والانهمال، مستوطنا ربع التصابي بقلة الأعمال وكثرة الآمال ، سالكا الهزل وطريقه، تاركا قبيل الجد وفريقه ، لاأثني عناني إلى ما يعنيني ، ولا أزال أعاني ما يعنيني ، ولطائف الله عز وجل التي يضيق عن حمد أصغرها الأمكنة الفسيحة، ولا تطيق بلوغ شكرها الألسنة الفصيحة، صافية الورود ، صافية البرود ، ، قد طنبت علي قبابها ورواقها ، وخلعت بعنقي ثيابها وأطواقها، واطردت بمياه النعمة مذانبها وأنهارها، وتساوى في القدوم بالكرم ليلها ونهارها، وأنا مع ذلك لا أزيد إلا غفلة عن القصد السني وسهوا ، ولا أستزيد إلا اشتغالا عن المقصود السني ولهوا، إلى أن أجرى الله عادة احسانه وجوده ، وأرادت مراداته السائقة السابقة إخراج العبد المذكور من عدم الغفلة إلى ظهور الإلهام ووجوده ، فسلط رعد الخوف على سحائب سمائي فكشفها وجلاها، وحل بساحة أرضها سكر السلو فسكرها عن سواه وخلاها ، وقلد أجياد فكره بقلائد حمده وشكره وحلاها ، وسل من سويداء قلبه محبة غيرة فنزهها عنه وسلاها ، فلاح أصباح النجاح، وآذن ليل الغفلة بالصباح، ونادى منادي الوصلة بمنار العزلة حي على الفلاح ، وصاح كالىء صبح النجح بالسفر المعرسين شدوا المطي فقد سال نهر النهار، ومال جرف الليل وانهار ، وانفجر عمود الفجر بنوره الوضاح، فلاح ،فأفاق العبد المذكور من نوم الركون إلى السكون والكرى، وشمر للسير ذيوله، وضمر للسبق خيوله، إذ سمع عند الصباح يحمد القوم السرى.

ثم كتب العبد المذكور عقدا ، وعهد مع المولى الجليل عهدا ، وهو على خوف المولى عز وجل ، يسأله إدراك ما أمله، والوصول إلى ما أم له ، ويتبرأ من حوله وقوته إليه، ويتوكل في جميع أموره عليه، ويقف بقدم الندم بين يديه، معترفا بما كان له مقترفا ، وراجيا أن يكون من بحر الاحسان لدرر الامتنان مغترفا، العقد المذكور:

هذا ما اشترى المولى اللطيف الجليل، من العبد الضعيف الذليل، الميمون بن علي ، اشترى في صفقة واحدة دون استباق ، ولا تبعيض، ولا استثناء بتصريح ولا تعريض ، جميع المنزل المعروف بمنزل القلب والفؤاد الذي من سكانه المحبة والإخلاص والوداد، حده من القبلة قبول الأوامر المطاعة، ومن الشرق لزوم السمع والطاعة ، ومن الجوف الاقبال على ما عليه أهل السنة والجماعة ، ومن الغرب دوام المراقبة في كل وقت وساعة ،، بكل ما يخص هذا المبيع المذكور ويعمه ، وينتهى إليه كل حد ممن حدوده ويضمه من داخل الحقوق وخارجها ، ومداخل المنافع ومخارجها ، وبكل ماله من الآلات التابعة له في التصريف ، والحواس الجارية معه في حالتي الإضاعة والتشريف ، السالكة مسلكه في التنكير والتعريف ، من يدين ورجلين، ولسان وشفتين ، وعينيين وأذنين، اشتراء صحيحا تاما شائعا في جميع المبيع المذكور، وعاما ثبتت قواعده ، وظهرت بالتسليم الصحيح شواهده، بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار ، ولابقيا مع حظظ نفس ولا اختيار ، بثمن رتبته العناية الربانية ، وقسمته المشيئة الإلهية ، بين عاجل وآجل، فالعاجل العون على كل مندوب ومفترض ، والصون عن كل غرض وعرض ، والثناء على النعم الظاهرة والباطنة، واهداء الآلاء المتحركة والساكنة ، والآجل الفوز بالدار القدسية ، والحضرية الانسية ، التي فيها ما امتد به جناح التواتر بالخبر الصادق وانتشر ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، من النعيم المقيم السرمدي ، والحبور الدائم الأبدي.

سلم العبد المذكور هذا المبيع المذكور تسليما تبرأ به من الملكة، ورفع به يد الأعراض عن ما يفعل المولى الجليل فيما ملكه، وأيقن أنه المتصرف فيه في سره وجهره ، وعلم أن الملك المذكور تحت يد عزته وقهره يجري فيه أحكامه القاهرة ، وينفذ فيه قضاياه الباهرة، وتحيط به قدرته الظاهرة ، وقد أحاط المولى الجليل بهذا المبيع المذكور إحاطة ظهور ، ولم يخف عليه شيء من قليله وكثيره، وجليله وحقيره، ومبانيه ومساكنه ومتحركه وساكنه، واطلع عليها إطلاع عليم قدير ،(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)؟

ولما أسلم العبد المذكور المبيع المذكور وأمضاء واستسلم لمولاه فيما حكم به وقضاه ، تفضل عليه مولاه ، وغمره بجوده العميم وأولاه، وجعل له السكنى بهذا المنزل المذكور مدة حياته، والإقامة فيه إلى حين مماته وإتيان وفاته ، إذ يستحيل على المولى الجليل الحلول في شيء أو السكون إلى شيء ، وهو موجد كل شيء وخالق كل ميت وحي ، ومريد كل رشد وغي، ومقدر كل نشر وطي ،، وأيضا فبالمولى تعالى قيام جميع العبيد ، وعلى قدره غناهم وفقرهم لأنه الفعال لما يريد ، وهو يسرهم لليسرى والعسرى فمنهم شقي وسعيد ، وله الغنى عن كل شيء والله هو الغني الحميد.

وقد أمر المولى الجليل هذا العبد بخدمة هذا المنزل المذكور خدمة التقرب إليه، وجعل له التصرف فيه لقبول أمره للفوز بما لديه ، وبهذا المنزل المذكور بساتين تسمى بساتين الاخلاص، وجنات تعرف بجنات حضرة القلب المعروف بمحل الاستخلاص.

التزم العبد المذكور تسهيل أرضها من شوك الشرك والارتياب، وتذليلها من حجر العجب والاضطراب ، في حالتي الحضور والغياب، وتنقيتها من أعشاب الحسد والحقد والكبر، وزوال ما فيها من عوارض الغش والخديعة والمكر، وأن يقطع منها كل عود لا منفعة فيه بحديد الفكر، مثل عود الحرص والطمع، ويغرس مكانه شجر الزهد والورع، ويقلم أغصان الميل إلى الأدران والأقذار، وافنان الركون إلى الأغيار والأكدار، وقضبان السكون إلى الشهوات والأوطار ، ويفتح أبواب البذل والإيثار بمفاتيح الجود الحميد المساعي والآثار ، ويطلق ينابيع التوكل على مصرف الأقدار ، وأن يخدم ما توعر من سواقي مياهها الاخلاصية وحياضها ، ويمشي بالمصلحة المصلحة لدوحاتها وغياضها ، ويفجر بها مياه الصفاء من الأكدار ، المتصلة بساقية الوفاء في الإيراد والاصرار ، والملاصقة لساقية ترك الجفاء في هذه الدار ، حتى يبدو أن شاء الله صلاحها، ويكثر ببركة الله اصلاحها، وتهب بقبول القبورل أرواحها ، وتثمر بجني المنى أدواحها، فتنبت قرنفل التنقل، وعود التقبل ، وآس الأنس والسوسان ، وياسمين اليأس من كل انسان ونعمان النعمة التي لا يصفها انسان.

وقد علم العبد المذكور أن بخارج هذا المنزل المذكور حرس الله إيمانه، وأدام أمانه، جيشا نفيسا يغير عليه في مسائه وصباحه ، وينتهز فيه الفرصة في غدوه ورواحه، ويقطع جادة السبيل ، بالمرور عليها بلا مسافة إلى حضرة الملك الجليل ، وملك هذا الجيش المذكور النفس لكثير الأغراض ، الميالة إلى ما يعرض من الأعراض ، المعتكفة على المنارب المهلكة والأعراض ، وخادم الملك المذكور الشهوة الموقوفة على خدمته المعدودة في أعلا خزنته ، ووزيره المفاخرة، وزمامه المنافسة في زهرة الدنيا وحاجبه المكاثرة.، وقيم جيشه المقدم ، وفارسه الاقدام ، شجاع الغضب ، الذي عنده يتولد الهلاك وبه يكون العطب ، فطلب العبد المذكور من مولاه الامداد بعساكر العزم ، وفوارس الحزم، ورغب في الإعانة بكتائب السداد والتوفيق ، ومواكبة الرشد والتحقيق، وإرسال جيوش الاصطبار ، وفوارس الانتصار ،والتدرع بدروع الأذكار ، وجولان خيل السعادة في ميادين الاختيار ، والعون بأعلام العلم، والسكون في حصن الحلم، حتى يذهب حدة النفس ويزيل كيدها، ويميتها في المجاهدة، بسيوف المجادلة ويقطع قوتها وأيدها، أو يمد يد التسليم بقهرها واضطرارها ، وينطق بلسان اعترافها واقرارها ، أنها اسقطت جملة دعواها واختيارها ، ودخلت تحت امتثال الأوامر الربانية ، ودخل في باب اللطف في حرم كرم الإلهية، قهر الظهور لذلك نفسه ، وأظهر الحضور أنسه ، حتى تتطهر النفس المذكورة من الاخلاق العرضية ، وتترقى عن الأغيار الأرضية، وتظهر عليها الشمائل الحميدة والأخلاق الرضية ، وتنادى

(يأيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية).

أشهد على إشهاد البائع المذكور من أشهده به على نفسه عارفا بقدره، في صحته وطوعه وجواز أمره.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

الاعلام بمن دخل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن ابراهيم السملالي ج 7ط:2، ص 326...